341

HARLEQUIN

روايات أحلام

قمر الأحلام الضائعة

ليز فيلدينغ

منتديات ليلاس الثقافية

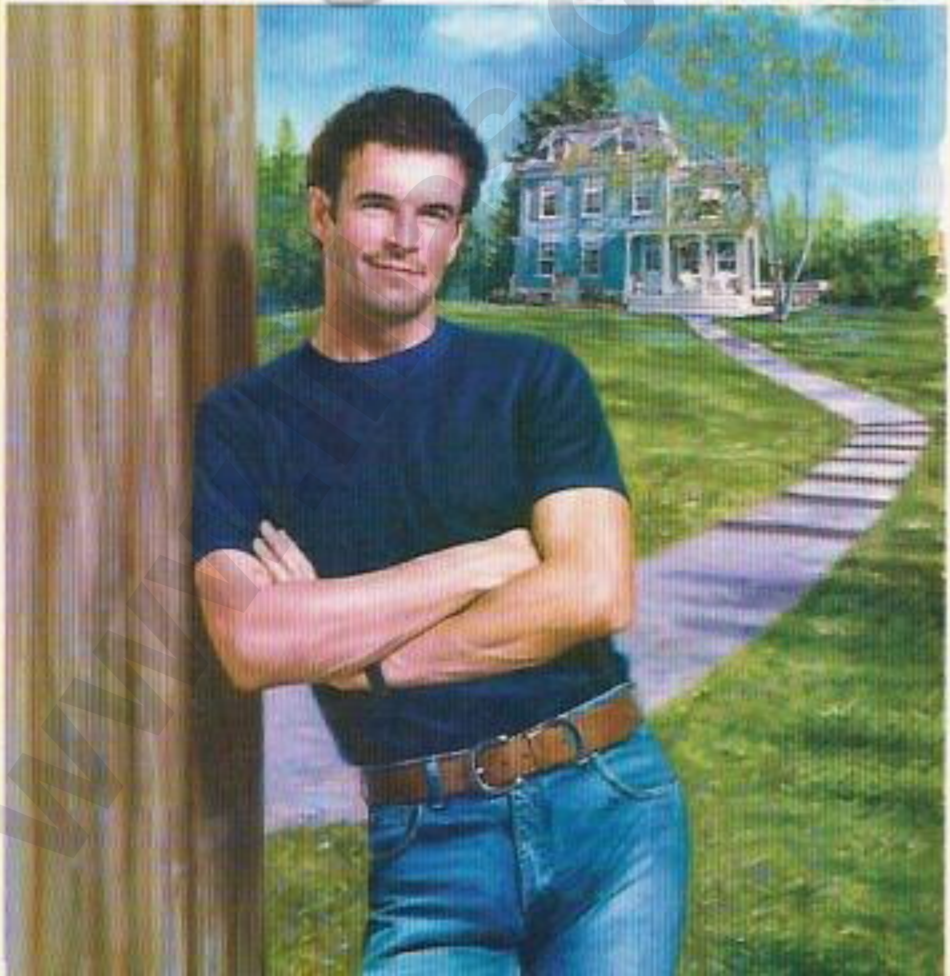

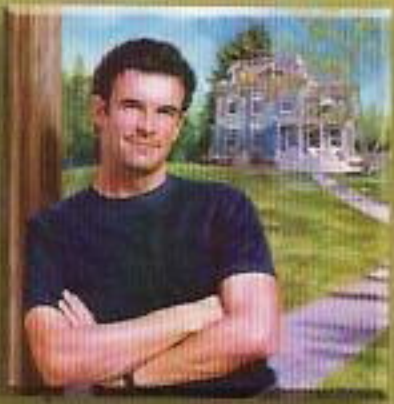

قمر الأحلام الضائعة

أمضى صاحب الثروة الطائلة ريتشارد مالوري حياته محاطا بأجمل النساء إلا أنه لم يجد بينهن المرأة التى تستحق أن يرتبط بها.

وما إن قرر أن يكف عن البحث عن "الفتاة المناسبة" حتى وجد نفسه أمام امرأة جميلة في شقته!

بدت مختلفة، طبيعية، وصادقة إلى حد البراءة... فما الذي أتى بها إذا إلى شقته!

كانت جيني تحاول أن تسدي خدمة بسيطة لصديقتها لكنها لا تستطيع أن تعترف له بذلك.

من المفترض أن تخرجها كذبتها البيضاء من ورطة إلا أنها غاصت أكثر فأكثر في رمال متحركة!

عليها الآن أن تمضي يوما كاملاً مع ذلك الثري. فهل يعقل أن يطول ذلك اليوم إلى مدى الحياة!!!

لبنان:	2500 ل.ل	البحرين:	1 دينار
سوريا:	75 ل.س.	السعودية:	10 ريال
الأردن:	1.5 دينار	مصر:	8 جنيه
الكويت:	750 فلس	المغرب:	15 درهم
الإمارات:	10 دراهم	تونس:	2 دينار
قطر:	10 ريال	عمان:	1 ريال

ISBN 9953-15-223-3

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

١ ـ لصة جميلة

يا لها من غلطة.. غلطة فادحة!

فكل خلية من خلايا جيني تصرخ ناهية إياها عن الحراك، مسمرة قدميها في الأرض، محاولة أن تردعها عن تخطي السياج المشبع بمياه الأمطار الذي يفصل شرفتها المسقوفة عن حديقة ريتشارد مالوري اليابانية الطراز، حديقة تكثر فيها الصخور المكسوة بالطحالب، وتتوسطها بركة، تسبح فيها أسماك الشبوط هانئة، ومقصورة مكسوة بأوراق الجدران.

كانت حديقة مالوري تخلو من أي عيب إلا الآثار التي خلفها حذاء جيني على الحصى الرطبة، آثار شوهت الصورة التي تتميز بالاتقان.

لم تعتد جيني السطو على المنازل.. حتى ملابسها لا تتلاءم مع الموقف؛ إذ كان يجدر بها أن ترتدي ملابس سوداء ضيقة، وتنتعل حذاءً رياضياً خفيفاً، لا يحدث صريراً، وتعقص شعرها تحت قبعة مشدودة على رأسها.

حباً بالله! لم ينتصف النهار بعد ولا تريد أن تظهر أمام أحد بمظهر اللصة! ولكن إن ضبطها أحدهم لا قدر الله، فعليها أن تبدو كالصورة التي رسمتها لنفسها.. جارة بريئة لم تتكبد عناء تبديل حذائها أو ارتداء ملابس مريحة لتقفز فوق السياج؛ فسروالها الجينز الواسع وقميصها القطني الفضفاض، البخس الثمن، الذي يبهر العين بلونه

www.liilas.com/vb3

الأرجواني الفاقع، يعلنان براءتها من كل شيء، إلا من الذوق الرديء.

تأوهت جيني واليأس بادٍ عليها.. صحيح أنها قطعت على نفسها وعداً بألاّ تتطوع ثانية لتنفيذ مهامٍ مماثلة، وإن من أجل صوفي، إلا أن وعدها ذهب هباءً.

أخذت نفساً عميقاً وأبعدت رغبة ملحة بالفرار سيطرت عليها.. ستسير الأمور على خير ما يرام. لأنها درست جوانب الموضوع كافة، وعليها أن تمضي قدماً من أجل صديقتها التي وقعت في مشكلة... صديقة تقع في المشاكل دوماً.. صديقة تجدها إلى جانبها كلما احتاجت إليها.

أخذت نفساً عميقاً من جديد، ودخلت من النافذة الفرنسية الطراز إلى الغرفة الشاغرة.

ـ مرحباً!

جاء صوتها خفيضاً أجش، أشبه بنقيق ضفدع مصاب بالتهاب في الحنجرة... حاولت أن تسترجع في ذهنها تفاصيل الرواية التي حاكتها مسبقاً لترويها على مسمع أي شخص قد يفاجئها.. إلا أن ذلك لم يمنع قلبها من الخفقان بقوة، وكأنه مجموعة الطبول في أوركسترا لندن.

ـ هل من أحد في المنزل؟.

لم يجبها إلا أزيز الغسالة الكهربائية التي كانت تدور بسرعة..

بدا المنزل مهجوراً والساحة خالية لتنجز ما عليها إنجازه.. أمامها خمس عشرة دقيقة أو ربما أكثر، إن كان الحظ حليفها.. ليتها لم تذكر لصوفي أن مدبرة المنزل تفتح النافذة كل صباح، ليدخل منها الهواء المنعش ثم تهرع إلى الأسفل لترتشف القهوة مع البواب!.

مسحت قطرات العرق عن شفتها العليا، وكبحت الخوف الشديد الذي تملكها.. فهذه الدقائق الخمس عشرة تكفيها لتعثر على قرص الكومبيوتر وتنقذ صوفي البلهاء من ورطتها..

ولكن من الأبله هنا؟ فها هي تتسلل خلسة إلى شقة الجيران، فيما صوفي البلهاء تجلس في مكتبها بأمان، محاطة بزملائها المتأهبين لتقديم حجة غياب لها إن دعت الحاجة... أما جيني الهادئة الحساسة، التي يفترض بها أن تكون في هذه الساعة، في المكتبة البريطانية، تقوم بأبحاث عن أساطير هوميروس، فقد تلقي الشرطة القبض عليها متلبسة، في أي لحظة.

إنه سبب كافٍ لردعها عن إضاعة الوقت مستسلمة لأوهامها! إلا أنها وقفت برهة تتأمل المكان محاولة أن تتأقلم معه.

تميّزت شقة مالوري، على غرار حديقته، بخلوها من الزخرفة.. فقطع الأثاث القليلة الموضوعة هنا وهناك، فوق مساحات واسعة من الخشب المصقول، بسيطة للغاية وتنم عن ذوق رفيع وكلفة عالية. وتزينها قطع حديثة من الخزف، اختيرت بعناية فائقة.

حاولت جيني أن تتوخى الحذر لئلا توقع القطع الخزفية.. إلا أن شيئاً غريباً استرعى انتباهها فجأة.. كان شعاع الشمس المتسلل بخجل من خلف الغيوم المتلبدة مسلطاً على كأسين من الكريستال مربوطين بجورب أسود حريري.

إنه لمشهد غريب حقاً يتنافر مع الإطار البسيط للشقة ويحمل الكثير من المعاني المثيرة للاشمئزاز.

وتنبهت جيني في تلك اللحظة إلى المنديل الكستنائي المعلق في وسط العقدة، والذي كتب عليه شيء ما بأحمر الشفاه.. أتراها رسالة شكر؟.

ابتلعت ريقها بصعوبة، وحاولت إخماد نار فضولها، مقاومة رغبة جامحة تملكتها بإلقاء نظرة على المنديل عن كثب، وكأن مشاكلها الحالية لا تكفيها.

أتراها تهتم فعلاً بما كتب عليه؟ فالمشهد يؤكد الشائعات التي

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

بلغت مسمعها عن هذا الرجل العبقري الناجح في عالم الأعمال، والذي يملك جاذبية فتاكة لا تقوى النساء على مقاومتها. . . جاذبية جاءت هذه اللوحة لتكون خير دليل عليها. . .

ورغم أنها تقطن في الشقة المجاورة، إلا أنهما لم يلتقيا بعد لتتأكد من صحة هذه الشائعات بنفسها. . . لكنها كانت تدرك في قرارة نفسها أنها ليست من النوع الذي يثير انتباهه أو يجعله يلتفت مرتين. . كما أنها تعي تماماً أنه من الصعب عليها أن تفتن به، مهما كان ساحراً. . . فالرجل المعروف بميله للعلاقات العابرة التي تضج بها صفحات الصحف والمجلات الاجتماعية لا يروق لها مطلقاً. . .

أبعدت جيني هذه الأفكار المتدافعة في رأسها، ووضعت يدها على قلبها، علها تخفف من حدة خفقانه لتتمكن من التركيز على ما قالته صوفي.

بداية الأسبوع، أخذ مالوري القرص إلى منزله، ووضعه على الأرجح، في مكان ما على مكتبه.

ولكن ثقة صوفي العمياء بقدرة جيني على العثور عليه، حالت دون أن تتكرم عليها بالتفاصيل اللازمة مكتفية بالقول: «أيعقل أن يكون الأمر صعباً إلى هذا الحد؟».

حتى الحجج التي تذرعت بها لتبرر رفضها القيام بذلك بنفسها كانت واهية. . .

لِمَ لم تتركها تجتاز السياج المشبع بمياه الأمطار. . ذلك السياج الشائك، لتجلب القرص بنفسها ما دامت تجد الأمر بهذه البساطة؟ فهي تشغل شقة في الطابق السفلي من المبنى نفسه.

ـ لكنك تقطنين في الشقة المجاورة يا عزيزتي. . . إنها لعبة القدر. . . فإن شك مالوري يوماً بأنني اقتربت من مكتبه لن أخسر وظيفتي فحسب بل لن أتمكن من العثور على وظيفة أخرى أبداً. . إنه

رجل سافل ولا يرضى بما دون الكمال.

هذا صحيح. . لا تستطيع صوفي المخاطرة بأن يقبض عليها خشية أن تخسر وظيفتها. . ولعل أكثر ما يثير حيرة جيني هو إصرار صديقتها على العمل في شركة خاصة ببرامج الكومبيوتر، في حين كانت تفضل أن تعمل في حقل العلاقات العامة أو أن تزين إحدى صالات العرض بجمالها.

بذلت صوفي جهدها لتخفف من وطأة الموضوع على جيني، مؤكدة لها أن المهمة في غاية السهولة؛ إذ يكفي أن تجتاز السياج الفاصل بين حديقة منزله وشرفة عمها بوب، فتدخل إلى شقة السافل، ثم تأخذ القرص وتنسخه، لتعيده بعدئذ إلى مكانه، من دون أن يعلم أحد بما جرى وتنقذ بالتالي وظيفة صوفي. .

أفلتت منها تنهيدة عميقة. . من قال إنها تجيد السطو على المنازل؟ أم لعل ما تفعله يُعرف بالخلع والدخول عنوة؟ لكن هل من دليل على دخولها المنزل عنوة؟.

لا شك أن القاضي سيأخذ هذه النقطة بعين الاعتبار، قبل أن يصدر الحكم عليها، إن فشلت في العثور على القرص ومغادرة هذا المكان قبل أن تعود السيدة فيغيس من موعدها الغرامي اليومي مع البواب.

حاولت عبثاً أن تبعث رسائل عاجلة من دماغها إلى رجليها لتتحركا. . لكن الجهاز العصبي في جسمها تيبّس وكأن الخوف شلّ حركتها.

وبعد محاولات حثيثة تلقت رجلاها الرسالة، فابتعدتا عن الموضع الذي بقيتا فيه لدقائق قليلة، بدت لجيني وكأنها ساعات طويلة. . اشتعلت نيران الغضب في أحشائها وأقسمت ألا تسمح لصوفي هارينغتون بأن تزجها في مواقف مماثلة، مهما كلف الأمر. .

لا. . . هذا ليس عدلاً. . إذ لطالما لجأت صوفي إلى الكلام

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

المعسول لتقنعها بمساعدتها في الخروج من مآزقها.. فتلك الفتاة التي عرفتها في الخامسة عشرة من عمرها لم تتغير البتة مع بلوغها الرابعة والعشرين... وها هو التاريخ يعيد نفسه.. وراحت جيني تسترجع في رأسها ذكرى الغارة التي شنتها على مكتب أمانة السر في المدرسة لإنقاذ صوفي من ورطة كادت تهدد مستقبلها في المدرسة.. يومها، هبت جيني لمساعدة صديقتها فتسللت إلى المكتب لجلب دفتر يومياتها قبل أن تقرأه المديرة.. ذلك الدفتر المثير للسخط بما يحويه من أخبار.. دفتر لا يحمله إلا الأبله معه حيثما ذهب.. ولا يجرؤ إلا الأبله على فتحه خلال ساعات الدرس، داخل الصف.

كانت جيني تخاطر بتلقي عقاب أكثر صرامة من التوبيخ على تصرفها الأرعن، وحرمانها من زيارة البلدة خلال المدة المتبقية من الفصل لو ضبطت وهي تحاول إنقاذ صديقتها من ورطتها...

طردت جيني هذه الذكريات من رأسها وعادت تركز اهتمامها على الواقع المحيط بها... هذه خزانة للثياب.. وهذا المطبخ.. وقفت فجأة مذهولة وهي تجول بنظرها في المطبخ المصنوع من الفولاذ والأردواز.. يا له من مطبخ عصري، يجد فيه المرء كل ما يلزمه! وخطر لها في تلك اللحظة أن الطريقة الوحيدة ليثير ريتشارد مالوري انتباهها هي أن يعرض عليها أن تدير مطبخه!.

بحق الله.. الوقت يداهمها وهي تضيع الدقائق الخمس عشرة في تأمّل مجموعة السكاكين بإعجاب بالغ!.

عبرت الغرفة بسرعة، وفتحت الباب المقابل لها، فوجدت نفسها أمام مكتب وجهاز كومبيوتر!.

رباه! يا لها من فوضى! فمن يرى هذه الغرفة يخال أن شخصاً مخبولاً انكبّ على العمل فيها على مدى أسبوع بكامله من دون انقطاع... فالفوضى تعمها خلافاً للغرف الأخرى التي بدت وكأن

أحداً لم يطأها..

وجدت جيني في هذه الفوضى جانباً إيجابياً لأن الشخص الذي زرعها بعيد كل البعد عن هوس إخفاء الأغراض في الأدراج وإقفالها.

انكبّت جيني تبحث بين زجاجات الماء الفارغة، وأوراق الشوكولا الفاخرة، وأطنان الأوراق المبعثرة على الأرض وعلى المكتب.. إلا أنها لم تجد للقرص أثراً.. فجمعت شتات أفكارها ورأت أن تنتقل للبحث في الأدراج.. ولكنها لم تستطع فتحها.. أين تراه وضع المفاتيح؟ لا شك أنه أخذها معه في رحلة نهاية الأسبوع التي يقضيها خارج البلدة، برفقة صاحبة الجورب الحريري الأسود..

ولكن لما تراها تركت له رسالة في هذه الحالة؟ كبحت جماح فضولها مرددة لنفسها من جديد بأن الأمر لا يعنيها، إطلاقاً..

نظرت جيني إلى ساعتها، فوجدت أن ست دقائق ثمينة انقضت.. وتذكرت فجأة أن المفاتيح تصنع عادة على نسختين ولا بد أنه احتفظ بالنسخة الثانية في مكان ما.. فمررت أصابعها تحت المكتب والأدراج علّه علّق المفتاح هناك ولكن، من دون جدوى.. فاللص يفتش أولاً في هذه الأماكن.. حتى وإن كان مبتدئاً مثلها...

أين كانت لتخبيء المفاتيح لو أنها مكانه؟ ربما في الدرج لئلا تضيعها... غير أنها لا تملك ما يستحق أن تضعه في درج وتقفل عليه.. صحيح أن ملفاتها وأقراصها تضم ثمرة أشهر طويلة من الأبحاث المضنية، إلا أنها لا تستحق عناء سرقتها..

ولكن إن أرادت، فرضاً، إخفائها، كانت ستختار درج المنضدة المجاور لسريرها... فمن تراه يستطيع العثور عليها وسط أغراضها المتراكمة؟.

ولكن أيعقل أن يفكر الرجل بالطريقة عينها؟ على أي حال، ما الذي يخفيه الرجال في أدراج المنضدة المجاورة لأسرّتهم؟.

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com

لم تلق رداً على تساؤلاتها. فلم تجد أمامها، بعد أن فرغت جعبتها من الأفكار، سوى أن تسرع إلى السلم اللولبي وتصعد إلى الطابق العلوي حيث فوجئت برؤية بهو فسيح، تغلبت فيه الرفاهية على البساطة.

رأت سجادة تركية الطراز مفروشة على الأرض، وكرسياً من الجلد الوثير موضوعاً في الوسط، وجدراناً مغطاة من أعلاها إلى أسفلها، برفوف خشبية تحمل شتى أنواع الكتب، التي خصصت للقراءة، وليس لإبهار الزائر فحسب...

لم تستطع جيني أن تمنع نفسها من الاقتراب منها وإلقاء نظرة سريعة عليها، إلا أنها تعثرت بطاولة صغيرة، لم ترها عند دخولها وأوقعت كومة من المجلات على الأرض محدثة صوتاً مريعاً أعادها إلى وعيها.. الوقت ليس ملائماً للمطالعة.. فتوجهت مسرعة إلى الباب الوحيد أمامها وفتحته لتجد نفسها في رواق مضاء بأنوار ساطعة، تكثر فيه الأبواب.. تذمرت في سرها، وراحت تفتح الأبواب الواحد تلو الآخر إلى أن عثرت في نهاية الأمر على غرفة مالوري..

كانت الغرفة غارقة في ظلام دامس، والستائر السميكة المنسدلة تحجب نور الصباح الضعيف.. تركت جيني باب الغرفة مفتوحاً ليدخل منه النور فتتمكن من إلقاء نظرة حولها.. وكم كان ارتباكها عظيماً حين أدركت أن الغرفة لا تضم الكثير من الأثاث! فالشقة برمتها تختلف اختلافاً كبيراً عن شقة ماكبيرد التي تتميز بزخرفتها الجميلة، زخرفة امتدت لتطال الحديقة أيضاً.

بدا واضحاً للعيان أن غرفة مالوري تعكس هي أيضاً ميله للبساطة.. فهي تضم سريراً عريضاً منخفض الارتفاع، فرش عليه لحاف كبير وكومة هائلة من الوسادات، وتحيط به من كل جهة منضدة يعلوها مصباح طويل...

اقتربت جيني من إحدى المنضدتين، وحاولت فتح درجها الضيق إلاّ أنها لم تفلح.. فقد كانت يداها ترتجفان من شدة الخوف وخشيت أن تمد يدها لتشعل المصباح فتوقعه أرضاً.

خطر لها عندئذٍ أن تركع على الأرض، وتمرر أصابعها تحت المنضدة.. وكم شعرت بالارتياح حين تبين لها أن الأمر ليس معقداً، وما عليها سوى أن تشد على طرف الدرج بإصبعها لتجد جواباً عن تساؤلاتها...

كان الدرج يحتوي على مجموعة من الأغراض توحي بأن ريتشارد مالوري من النوع الذي يحب أن يبقى دوماً على أهبة الإستعداد للاحتمالات كافة.

أقفلت جيني الدرج على عجل وقد طفح كيلها.. فالوقت يمر بسرعة والحظ لم يحالفها بعد... لم يتبقّ أمامها سوى أن تفتش المنضدة الثانية، لتثبت لنفسها أنها بذلت كل ما بوسعها، ثم تغادر هذا المكان..

وعندما همّت بالوقوف، لفت انتباهها بريق شيء صغير تحت المنضدة، شيء أشبه بمفتاح... فتسمّرت جيني برهة في مكانها والحيرة تتآكلها.. أتراه المفتاح الذي تبحث عنه؟.

وفي لمح البصر، وجدت نفسها مستلقية على الأرض، تتمدد لتصل إليه وتمسك به.. فإذا بها تجده مستدقاً مستطيل الشكل.. نهضت جيني تبحث عن الضوء لتتمكن من رؤيته بوضوح... فمدت يدها لتشعل المصباح، إلا أنها أجفلت وهي تراه يضاء من تلقاء ذاته ونوره الساطع يبهر عينيها.. ألم تقرأ في مكان ما عن المصابيح التي تضاء بمجرد لمسها؟.

ولكنها ارتأت أن ترجىء تساؤلاتها إلى وقت لاحق وتركز اهتمامها على ذلك الشيء المعدني الصغير الذي التقطته.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

- اللعنة!.

- لا أظنه لك. أليس كذلك؟.

تعالى صوت خفيض أجش من تحت الوسادات المكدسة، ثم ظهر رأس أشعث الشعر أسوده، وعينان أثقلهما النعاس.. وإذ بيد كبيرة تمتد لتأخذ القطعة المعدنية من راحة يدها المفتوحة، وتحملها بين أناملها وتدليها على مقربة من أذنها... فالقطعة المعدنية لم تكن مفتاحاً بل قرطاً طويلاً.

- كلا...

شعرت جيني وكأن دهراً مرّ قبل أن يبعد عينيه الزرقاوين اللتين كانتا تتفرسان فيها وفي القرط المتدلي من أنامله... دهر توقف فيه قلبها عن الخفقان، ربما لأن السحر المغناطيسي المنبعث من تينك العينين ترك أثراً كبيراً فيها...

- لا أظنه يروق لك.

خرج من حنجرة جيني صوت مشوّش أرادت من خلاله أن تعرب له أنها تشاطره الرأي... فسوق السلع المستعملة الذي اعتادت أن تقصده لا يعرض سلعاً مماثلة، غالباً ما تكون غالية الثمن..

- إن قلت لي عما تبحثين فقد أستطيع مساعدتك.

أبعد ريتشارد مالوري اللحاف عنه واستند على ساعده ليجلس في سريره، فرأت كتفيه العريضتين وصدره العاري...

حاولت أن تجيبه، إلا أن كلماتها خانتها.. فقال لها مقطباً:

- أرجو المعذرة.. لم أسمع ما قلته.

وتنبهت في تلك اللحظة إلى أن جفنيه الناعسـن ضللاها، لأن عينيه الواسعتين كانتا تنبضان بالحياة.. كم من الوقت مرّ عليه وهو يتأملها؟ هل شاهدها وهي تنقض على المنضدة المجاورة لسريره؟.

ابتلعت جيني ريقها بصعوبة.. إذ لم يعد أمامها سوى أن تراوغه

وترجو الأفضل... فإن كانت قادرة على أن تفرض نفسها في قاعة تعج بطلاب لا يتعدى سنهم الثامنة عشرة، ويخالون أنفسهم على دراية بأمور الدنيا كلها، فلن يصعب عليها أن تهتم برجل واحد.

وبما أن عينيه كانتا تتفحصانها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، لم تجد بداً من المواجهة، فقالت له وهي ترفع نظاراتها إلى أعلى أنفها، وقد استعادت صوت «المدرّسة»: «قلت إنني..»

صحيح أنه لا يستطيع صرفها ولكن ما الذي قد يمنعه من الاتصال بالشرطة؟.

- إنك ماذا؟.

ردد عبارتها باستغراب شديد وكأنها إستخدمت لغة غريبة، لغة لم يسمعها من قبل.

لم تجد أمامها حلاً آخر إلا المراوغة، والمراوغة فحسب.. إذ اعتادت القيام بذلك في المحاضرات التي تلقيها لتتمكن من إعالة نفسها في انتظار نيلها شهادة الدكتورة وجلّ ما عليها أن تفعله هو اللّجوء إلى التقنية التقليدية التي تعتمدها مع طلابها للسيطرة عليهم... إنما يبدو أنها لن تنجح... من الأفضل لها أن تفكر في أمر آخر لتصرف ذهنها عنه.. ربما بوالدتها..

قالت له وقد استعادت أفكارها وحبالها الصوتية قدرتها الطبيعية:

- من الصعب ترجمة الأفكار بالكلمات.. كما أنك فاجأتني يا سيد مالوري.

بدا جلياً أن كلماتها تسليه إذ سألها ساخراً: «أكنت تتوقعين أن أعتذر منك؟».

- ما من داع لذلك.

وبعد أن أرغمت نفسها على إبعاد نظرها عن كتفيه العريضتين، ابتعدت عنه، واستطردت قائلة:

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

- الذنب ذنبي.. لم أدرك أنك هنا.. أو ربما لم يكن يجدر بي أن...

أحست بأن تصميمها على الحفاظ على هدوء أعصابها أخذ يتلاشى، وهي تقرأ في عينيه نظرات التهكم وكأنه يقصد مضايقتها.

- يجدر بك ماذا؟.

- أن...

ها هي تردد العبارة الغريبة عينها من جديد..

- أن ماذا؟.

- لم يكن يجدر بي أن أتطفل!

ثم أضافت وقد أحست بأن شيئاً ما ينقص: «ربما كان علي أن أقرع الباب أولاً».

رفع حاجبيه دهشة وقال: «حقاً؟ هذا ما كان عليك أن تفعليه أولاً».

قطبت حاجبيها وقد تملكها الارتباك.. فكل المحاولات التي بذلتها لترفع نظراتها المتفرّسة عن منكبيه، أو عضلاته التي أخذت تنتفخ وهو يهز كتفيه بلا مبالاة ذهبت هباءً..

وتنبهت فجأة إلى ما أراد أن يلمح إليه، فأحسّت بالاحمرار يزحف إلى خديها.. يا له من متعجرف مغرور! أيعقل أن يخالها إحدى المعجبات بريتشارد مالوري، اللواتي لا يتوانين عن الارتماء تحت قدميه؟.

وجدت نفسها تنصحه قائلة بحدة غير متوقعة، في ظل الظروف الراهنة:

- إن كنت تقع دوماً في المشكلة عينها، فيستحسن أن تترك باب غرفة نومك مقفلاً.

وافقها الرأي قائلاً:

- ربما يجدر بي أن أفعل ذلك.

ثم عاد إلى الموضوع الأساسي وسألها: «إذن؟ ما الذي كنت تبحثين عنه؟».

أخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها... ليتها لاذت بالفرار حين سنحت لها الفرصة بذلك، بدلاً من الانتظار وتبادل الأحاديث معه!... ربما سيخال أنه حلم مزعج أو كابوس مريع، فيصرف النظر عنه..

- ما الذي أبحث عنه؟.

- تحت سريري..

النجدة!... ألم تجد العذر الذي اختلقته مقنعاً للغاية، عندما كانت تردده في رأسها، في شقتها الآمنة؟ غير أنها لم تكن تتوقع حينها أن تلجأ.. إليه. إذ أكدت لها صوفي أنها ستتمكن من دخول الشقة والخروج منها بسرعة البرق.

متى ستتعلم يا ترى ألا تثق بكلامها؟.

فالرواية التي اختلقتها لتبرر وجودها في الشقة، إذا فاجأتها مدبرة المنزل، افتقرت للمصداقية في حضور هذا الرجل... أو لعل إحساسها بالذنب هو الذي جعل الكلمات تموت على شفتيها...

كم هي غبية! فمن قال إنها لصة؟ إنها مجرد صديقة مخلصة تريد أن تستعير القرص لبعض الوقت، وتعيده بعدئذ إلى مكانه قبل أن يفتقده أحد... وبرأيها، هذه القضية لا تستحق أن تحال إلى القضاء، إلا إذا أقدمت على قتل صوفي بيديها.

- خذي وقتك!.

التفتت إليه فقابلت عيناها عينيه الزرقاوين الحادتين، اللتين تؤكدان أن ريتشارد مالوري ليس من النوع الذي يسهل خداعه بالكلام... حاولت، عبثاً، أن تستجمع قواها الذهنية علها تتوصل إلى

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

استنباط رواية أقل تفاهة.. ولكن دماغها، كان، على ما يبدو، في إجازة...

ما السبب الذي قد يبرر وجودها في منزله؟ راحت تتضرع إلى الله في سرّها لتنشق الأرض وتبتلعها في تلك اللحظة.. إلا أن صلواتها لم تلق استجابة..

فقالت له أخيراً وقد نفذت الأفكار من جعبتها: «كنت أبحث عن الهامستر...»

ـ أرجو المعذرة... ولكن هل قلت الهامستر؟.

أثار تهكمه سخطها وانتابتها رغبة جامحة في الدفاع عن روايتها..

فهي ليست مضحكة إلى هذا الحد.. حسناً.. ربما كان عليها أن تختار حيواناً أليفاً أكثر ظرفاً، كالهر مثلاً، ولكن من السهل أن تعلم مدبرة المنزل أنها لا تملك واحداً، إذ يمنع منعاً باتاً إدخال الحيوانات من دون قفص إلى المبنى.

ـ تسلل إلى السياج الفاصل ثم قفز من النافذة الفرنسية الطراز.

وإذ فضّل مالوري أن يلتزم الصمت استطردت تقول بنبرة شابها إحساس كاذب باليأس:

ـ لم أستطع اجتيازه بسهولة.. ولكنه صغير الحجم ويمكنه المرور من تحته.. على الرغم من أنه شائك بعض الشيء.

وقفت جيني مذهولة، عاجزة عن تصديق الكلمات التي تتفوه بها، وقد أوحت لها تعابير وجه مالوري بأنه يواجه أيضاً صعوبة في تصديق كلامها.. لكنه كان يبذل جهداً كبيراً ليمنع نفسه من الانفجار بالضحك.

وفي محاولة منها لإلهائه، تقدمت منه ومدت يدها لتصافحه قائلة:

ـ لم يسبق لنا أن التقينا سيد مالوري ولكنني جارتك مؤقتاً في الشقة المجاورة.. أدعى أفيجينا لوتور...

وحده الإنسان الذي لا يجيد الكذب يعترف بملء إرادته بأنه يحمل اسماً مماثلاً، أليس كذلك؟.

ـ إنني أعتني بشقة السير ويليام والليدي ماكبرايد خلال سفرهما.. أقصد أنني أهتم بالنباتات وحوض الأسماك.. وأزيل الغبار..

ثم تابعت تقول وكأن الموقف الذي زجّت نفسها فيه عادي جداً:

ـ كيف حالك؟.

صافح ريتشارد اليد الممدودة، وبقي ممسكاً بها لمدة أطول مما ينبغي والحيرة بادية على وجهه:

ـ أظن أنني أحتاج إلى بعض الوقت لأجيب عن هذا السؤال.

ثم جلس على السرير، وانحنى إلى الأمام وهو يرتب شعره بيديه، ليسوي خصلات شعره المجعدة من جهة، وينظم أفكاره المشوشة من جهة أخرى.

غير أن رؤية كتفيه العاريتين وصدره أثارت اضطرابها..

قال لها وهو يمسح وجهه بيديه:

ـ أحتاج أيضاً إلى فنجان من القهوة، وكوب من عصير الليمون، وحمام ساخن.. وقلما يهمني بأي منها أبدأ أولاً... فقد أمضيت ليلة مريعة..

لم تشك جيني بكلامه أبداً إذ رأت الدليل على ذلك بأم عينها.

أفلتت منها صرخة خافتة وهي تراه يدفع الغطاء بعيداً ويضع رجليه على الأرض.. فأسرعت تبتعد عنه، إلا أنها ارتطمت بالمصباح وأوقعته أرضاً، وهي تحاول الإمساك به.

نهض مالوري من فراشه والتقط المصباح عن الأرض وأعاده إلى مكانه متيحاً لها الفرصة لتتأكد من أنه ليس عارياً كلياً.. إذ كان يرتدي سروالاً قصيراً رمادي اللون، يبرز معدته المسطحة الصلبة... عليها

أن تغادر الغرفة بأي ثمن! مدت يدها تتلمس طريقها إلى مقبض الباب، إلا أن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن وانغلق الباب، فيما بقيت هي واقفة عند الجهة الخاطئة منه . . .

قالت له بصوت خفيض: «أظن أنني أزعجتك».

وافقها الرأي، على الفور، قائلاً: «أظن ذلك».

ثم مدّ يده يلتقط جهاز التحكم عن بعد، وضغط على أحد أزراره ليفتح الستائر السميكة، متيحاً لأشعة الشمس الساطعة أن تغمر الغرفة بنورها.

ـ يا لها من حيلة ظريفة! أظنك استعملت الجهاز نفسه لتشعل المصباح أليس كذلك؟.

ولم تلبث أن ندمت لأنها لفتت انتباهه إليها، إذ التفتت العينان الزرقاوان إليها وحدّقتا إليها وكأنهما تبحثان عن الحقيقة.

ـ إنني في غاية الأسف. .

قاطعها قائلاً:

ـ لا داعي للأسف. كان من الممكن أن أقضي النهار بطوله نائماً لو لم توقظيني يا أفيجينا. .

ثم قطب جبينه وسألها بحدة:

ـ أي نوع من الأسماء هذا؟.

ـ إنه من النوع الذي يتعذر تهجئته. كانت والدتي طالبة في كلية الأدب اليوناني والإغريقي.

أو ربما عليها أن تقول إنها كانت تتابع دراستها، حين تتاح لها الفرصة لذلك.. وإذ لاحظت أن تعابير وجهه خلت من أي تعبير، أضافت:

ـ كانت أفيجينا ابنة الملك أغاممنون الذي ضحّى بها إرضاءً للآلهة. ليتمكن بعدئذ من إعادة أخت زوجته الهاربة، هيلين.

ـ هيلين؟.

ـ من طروادة!.

ـ صحيح. صاحبة الوجه الجميل الذي تسبب في حروب دامية؟.

ـ أجل. إنها هي. . . وقتله زوجته بسبب فعلته هذه. ولكنني أظنك على علم بالأمر. .

مما لا شك فيه أن الأسطورة لا تقتصر على هذا، ولكنها تعلمت، على مر السنوات، أن تكتفي بهذا القدر منها، عندما تروي قصة اسمها غير المألوف للناس.

ـ كتب هوميروس عن تفكك العائلة منذ ثلاثة آلاف سنة.

ـ أجل.

راح يحدق إليها لبعض الوقت وكأنه يريد أن يواصل الحديث عن اختيار أمها لاسمها، إلا أنه عاد وقال بعد تفكير ملي:

ـ أخبريني عن الهامستر الضائع. ما اسمه؟ (أوديسيوس)؟.

يا لتهكمه! لم يمضِ على استيقاظه وقت طويل، وها هو يستعرض أسماء الأبطال الأسطوريين، ولا يتوانى عن إظهار تهكمه. ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر بأنه رجل عبقري للغاية.

ـ محاولة جيدة. . . ولكن ألا تجد أنه اسم طويل بعض الشيء ليحمله هامستر؟.

أجابها وكأنه أدرك أنها تحاول كسب الوقت فحسب:

ـ أظن أن اسم أفيجينا طويل بعض الشيء لتحمله فتاة مثلك. اسم يوحي بأن والدتك لم تكن تُكِنّ مشاعر قوية لوالدك حين اختارته لك!.

آثرت جيني أن تلزم الصمت أمام تحليله البعيد كل البعد عن الواقع، فعاد يسألها وكأنه يريد أن يحثها على الرد:

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

- ما اسم الهامستر؟.
- هيكتور!.
- هيكتور أم هاري؟.
- كلا.. إنه هيكتور المقاتل الشهير، من طروادة، الذي قتله آشيل...

صحيح أن حب الأدب الإغريقي يجري في العائلة، إلا أنها تكلمت أكثر مما ينبغي عن هذا الموضوع..

سألته ببراءة:
- من هو هاري؟.

ضاقت عيناه فجأة، وخشيت للحظة أن تكون قد تخطّت الحدود:
- لا عليك.

ثم أضاف في محاولة منه لتغيير الموضوع:
- أظنه هامستر سريع الحركة لتطارديه لغاية هنا.. ألا تعتقدين أن السلم قد يعيق حركته بعض الشيء؟.

لم تخطر هذه الفكرة في بالها إطلاقاً.. ولم تضع أيضاً في الحسبان إمكانية أن تجد ريتشارد مالوري نائماً في سريره، يستعيد قواه بعد ليلة حامية.

ومن يستحق الشكر على ذلك سوى صوفي؟ ألا يجدر بها أيضاً أن تشعر بالامتنان لصاحبة الجورب الأسود الحريري التي غادرت على ما يبدو، قبل وصولها...؟ فالحق يقال إنها جنّبتها الكثير من الإحراج...

أدركت جيني في تلك اللحظة أنها وقعت في فخ لا قرار له.. وباتت عاجزة حتى عن تذكر حجم الهامستر.. أتراه أربعة أم خمسة إنشات؟.. إلا أنها قررت ألا تفقد الأمل، وتابع الحفر، علها تجد مخرجاً! فقالت له بلهجة تدل على اقتناع زائف:

- أظن أن فخذي هيكتور كانا أشبه بفخذي لاعب كرة قدم.. لأنه كان يقضي معظم وقته على العربة..

وقبل أن تتيح له فرصة طرح أسئلة لن يجد لها رداً عندها، قالت له:
- إسمع، يستحسن أن أنصرف وأدعك تستحم!.
- أرجوكِ لا داعي للعجلة!.

وقفز من سريره بلمح البصر، وتوجه إلى الباب حيث تسمّرت في مكانها، ثم وضع يده عليه معيقاً حركتها.. إلا أنها تراجعت بسرعة، مبتعدة عنه لئلا يسمع ضربات قلبها المتسارعة.
- نادراً ما أحظى بهذا القدر من التسلية قبل أن أتناول فطوري.

* * *

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

٢ ـ فتاة اسمها مشاكل

تسمرت جيني في مكانها وهي تتأمل صدر ريتشارد النابض بالرجولة، وأحست بضيق في التنفس، ضيق لم يخفَ عليه:

ـ إنني..

ـ لِمَ لا تبقين وتنضمين إليّ؟.

ماذا؟ تنضم إليه؟... وقف ريتشارد أمامها مسنداً يده إلى الباب لإبقائه مغلقاً، فيما أمسك بيده الأخرى خصلة من خصلات شعرها، شردت بعيداً عن رفيقاتها بينما كانت تتسلق السياج، فتدلت على وجهها..

لم تكن عيناه وحدهما تبعثان في جسمها ذبذبات كهربائية.. فقد أحست بتوهج بشرتها.. وبارتعاش في كيانها برمته وكأنها بطارية مستنزفة منذ وقت طويل وتلقت فجأة شحنة قوية.

الحق يقال إنها ليست مستنزفة.. بل إنها لم تشحن أبداً.

سألته بحماقة:

ـ أنضم إليك؟.

هل كان يقصد أن تنضم إليه وهو يستحم؟

حاولت جيني أن تحرك فمها علها تستطيع أن تتفوه بجملة متماسكة فتسأله مثلاً.. ماذا يظن نفسه فاعلاً؟.. أو ربما تطرح عليه

سؤالاً أكثر بساطة.. ولكن محاولاتها كلها باءت بالفشل.

انتزع ريتشارد غصناً علق في شعرها وراح يتفحصه بدقة وهو يقول:

ـ أرجو ألا تكوني قد ألحقت ضرراً فادحاً بسياج اللايدي.

وقبل أن تسنح لها الفرصة للتفكير بما سببته من أضرار لشرفة السيدة ماكبرايد المنسقة بإتقان، عاد يقول:

ـ لن يتطلب الأمر أكثر من خمس دقائق.. ابقي وحدثيني عن حيوانك المدلل فيما نتناول البيض المقلي.

خمس دقائق؟ البيض المقلي؟ وتجلت لها الحقيقة فجأة بكل وضوح..

ـ البيض؟ أتقصد أن أشاركك طعام الفطور؟.

افتر ثغره عن ابتسامة بليدة وسألها:

ـ وماذا سوى ذلك؟.

خذلها لسانها في بادىء الأمر ولم تجد الكلمات المناسبة للرد عليه، إلا أنها ما لبثت أن استجمعت قواها وسألته وهي تتظاهر بالدهشة، وقد تشوشت أفكارها:

ـ هل تمزح؟ تناولت فطوري منذ ساعات... وحان الآن موعد الغداء.. علي أن أنصرف وأنهي أعمالي..

ـ هل ستسقين النباتات وتزيلين الغبار؟.

ـ إنها الأعمال النسائية.

كانت تكذب جهارة.. ولو سمعت أمها كلامها لصعقت بشدة.. لكنها ليست موجودة لتنتقدها وعليها في هذه اللحظة أن تجد الكلمات المناسبة لتنقذ نفسها..

جلَ ما عليها أن تفعله الآن هو أن تتحرك من مكانها.. ولكن ألا يجدر بها أن تتذكر أولاً كيف تفعل ذلك..؟.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

وفيما هي غارقة في حيرتها، سألها ريتشارد فجأة:

ـ أين عثر عليك آل ماكبرايد؟.

ـ ماذا؟.

من قال له إنها كانت تائهة؟.

ـ آه.. فهمت.. تربطني صداقة بزوجة ابنهما.. فيلي.. وأخبرتها بأنني أبحث عن مكان أقيم فيه في لندن خلال فصل الصيف.. وكانا بحاجة لشخص..

ـ يطعم الأسماك؟.

ـ إسمع، من الأفضل أن أنصرف.

غير أنه لم يكن على عجلة من أمره:

ـ ألم تنسي شيئاً؟

ـ أنا؟.

ـ هيكتور؟ لا أظنك ستتخلين عنه؟!.

اللعنة! أيعقل أن يغيب ذلك عن ذهنها؟ حاولت أن تتظاهر بالقلق وقد أدركت بعد فوات الأوان أن حيواناً وهمياً سيثير المشاكل أكثر من حيوان حقيقي.

ـ قد يكون في أي مكان.. لعله اختار زاوية هادئة واسترسل في النوم.. فهو من الحيوانات الناشطة في الليل.

ـ حقاً؟ سأحرص إذن على ألا أحدث ضجة كبيرة.. لا بد أنه متعب بعد ما بذله من جهد.

وابتعد قليلاً عنها فتحررت بعض الشيء من دائرة سحره الخانقة، التي أسرها فيها.. إلا أنها بقيت عاجزة عن الحراك.

ـ حسناً.. إن كنت واثقة من أنني لن أتمكن من إغرائك...

ـ كلا..

ربما جاء ردها عنيفاً بعض الشيء إلا أنها لم تكترث للأمر وتابعت

تقول بحدة:

ـ علي أن أنصرف.

ـ إن كنت تصرين على ذلك..

وأشار بيده موحياً لها بأنها تملك حرية الانصراف ساعة يحلو لها...

ـ سررت بالتعرف إليك يا أفيجينا لوتور.

بدا جلياً أنه يسخر منها ولا يأبه مطلقاً بإخفاء ذلك... ولكن قلما يهمها الأمر، إذ سخر منها الكثيرون من قبل وهذه التلميحات المبطنة لن تؤذي مشاعرها.. في الواقع، كانت تتساءل في سرها عمّا إذا أساءت صوفي الحكم عليه.. صحيح أنه عابث إلى حد يثير الاشمئزاز، لكنه يتمتع بحس الفكاهة، ومن الصعب جداً غض النظر عنه..

ـ جيني!.

قالت له ذلك بصوت ناعم رقيق، خلا من أي أثر للتوتر، صوت تلاءم مع الوخز في صدرها، والوهن في ساقيها..

عضت جيني على شفتها السفلى في محاولة منها لكبح جماح أفكارها، لئلا تقدم على أي تصرف أحمق واستطردت تقول:

ـ يناديني الجميع جيني، لأنه مقتضب.

ـ ومن السهل لفظه.

ولما وجدها مسمرة في مكانها لا تحرك ساكناً فتح الباب على مصراعيه قائلاً لها:

ـ سأتابع البحث عن هيكتور يا جيني.. وإن عثرت عليه، فسأحرص على إعادته إلى المنزل.

يا إلهي! إنه يطردها بأسلوب مهذب.. للحظات خلت كانت تتوق للفرار.. وها هو الآن يدفعها دفعاً للانصراف..

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

أجابته على عجل وكأنها تخشى ألا يكون على معرفة بالسيدة التي تعتني بتنظيف شقته:

ـ أرجو ألا تخاله السيدة فيغيس كتلة من الزغب فتبتلعه مكنستها الكهربائية وهي تنظف الأرض.

ـ ربما عليك تحذيرها.

ـ سأفعل. وأعتذر من جديد لإزعاجك.

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال:

ـ لم أكن لأفوت ذلك مهما كلف الأمر. ولكنني مضطر الآن لدخول الحمام، إلا إن أردت مرافقتي ومراقبتي عن كثب لئلا أغرق البطل هيكتور.

وتراجع إلى الخلف مفسحاً لها الطريق لتتوجه إلى الحمام. . .

فلم تقوَ هذه المرة على كبح موجة الاحمرار التي اجتاحتها من عنقها صعوداً إلى فروة رأسها وقد أدركت مغزى كلامه.

تراجعت نحو الباب وهي تومىء بيدها وتدافع عن نفسها قائلة:

ـ لا يا سيد مالوري. أنا أثق بك كل الثقة.

ـ ريتش. . . الناس ينادونني ريتش. .

ـ نعم. . أعلم ذلك. . قرأت اسمك في الصحف.

ثم استدارت على عقبيها وفرت هاربة.

لم تصدق جيني أنها كانت فعلاً في غرفة رجل غريب، حيث تسمرت في مكانها بكل وقاحة، فيما كان يغازلها. والأسوأ من ذلك أنها تجاوبت معه، وكأنه مد يده ببرودة وضغط على زر كهربائي فأشعل النيران في أحشائها بكل سهولة. .

صحيح أن فوزه الساحق في هذه اللعبة، ساعده على أن يثبت أنه على مستوى الشائعات التي تحاك عنه، إلا أنه ما لبث أن شعر بالملل.

أطلقت جيني تنهيدة وهي تنزل السلم اللولبي مسرعة. . وتمنت لو

أن بمقدورها أن توقف عقارب الساعة، وتعيد الزمن إلى الوراء.

ـ آنسة لوتور؟.

كانت السيدة فيغيس تقف عند أسفل الدرج وعلى وجهها أمارات الارتباك. . .

ـ ما الذي تفعلينه هنا؟ كيف استطعت الدخول؟.

كان لصوت مدبرة منزل ريتشارد مالوري تأثير الحمام البارد.

ووجدت نفسها تجيبها بنبرة حادة وبصراحة مطلقة:

ـ عبر النافذة الكبيرة سيدة فيغيس.

بعد مواجهتها الأسد في عرينه وإفلاتها من براثنه سالمة، لن تسمح لمدبرة منزل لئيمة أن تخيفها. ولكنها فضلت البقاء على بعد درجتين منها لتكون على مستوى قامتها الطويلة، ولم تدرك خطأها إلا بعد أن رأت عينيها مسلطتين على حذائها، ليتحول بعدئذ ارتباكها إلى استهجان.

فسألتها بلطف:

ـ هلا توخيت الحذر عند تنظيفك الشقة بالمكنسة الكهربائية؟.

وإذ أرادت أن تتفادى سماع عظة عن آثار قدميها على الباب، التي أفسدت الديكور الياباني الطراز، تابعت تقول: «لقد أضعت الهامستر».

ـ هامستر؟.

ما خطب الهامستر؟ ولما يصاب الناس بالذهول كلما جيء على ذكره؟ فمعظم سكان البلاد يتخذون من الهامستر حيواناً أليفاً. وقبل أن تتخرج من الجامعة أقامت مع طالبة كانت تملك هامستر شديد الحركة، اختبأ مرة تحت أرضية الغرفة. . . ومنذ ذلك الحين، أدركت أن الحياة مع الهامستر أشبه بمسلسل درامي متواصل.

ـ إنه جرذ صغير لونه أصفر برتقالي، بهذا الحجم تقريباً.

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

ورسمت بيديها حجماً تقريبياً له وأضافت:

ـ ويدعى هيكتور.

أدركت جيني في قرارة نفسها أن مدبرة المنزل ستظن أن امرأة تتخذ من الهامستر حيواناً أليفاً، هي في الواقع مهووسة، عديمة البراعة.. وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة، لأن رفيقتها في الغرفة كانت تنبض بالحياة..

ولكن ريتشارد مالوري سيأتي من دون ريب على ذكر الحادثة أمامها، وسيتملكه الشك إن تبين له أن السيدة فيغيس ليست على علم بالأمر.

ـ من السهل أن تخاليه كتلة من الزغب في إحدى الزوايا المظلمة.

أجابتها المرأة ساخطة:

ـ لا يوجد كتل زغب في أي زاوية من زوايا هذا المنزل.

ـ طبعاً لا.. لم أقصد.. على أي حال، سيشرح لك السيد مالوري الموضوع.

شحب وجه المرأة وبدا الرعب في عينيها:

ـ السيد مالوري؟ ألا يزال هنا؟ كان من المفترض به أن يغادر المنزل منذ ساعات.

ـ حقاً؟.

يا لها من مخادعة تجيد لعب دور الفتاة المذهولة متظاهرة بأنها ليست على علم بالأمر!

ـ حسناً.. لا أظنه على عجلة من أمره!.

فهو رجل أعمال فاحش الثراء، وقد كانت ليلته متعبة مع صاحبة الجورب الحريري الأسود.

ـ في الواقع، أظنه يحتاج إلى فنجان قهوة كما أنه ذكر أمامي شيئاً عن البيض المقلي.

قالت كلماتها تلك ومشت من دون أن تنظر لتتأكد بنفسها ما إذا كانت السيدة فيغيس تعتبر تحضير القهوة بدلاً من ارتشافها جزءاً من واجباتها..

أسرعت جيني تعبر النافذة الفرنسية الطراز، وتقطع الحديقة المفروشة بالحصى وتتجاوز سياج اللايدي من دون أن تلتفت وراءها خشية أن تجد أحداً يلاحقها..

لم تشعر جيني بالأمان إلا بعد أن دخلت إلى شقتها وأقفلت النافذة بإحكام، واستندت إليها وهي تتنفس الصعداء.

وقف ريتشارد مالوري تحت الدوش، تاركاً الماء الساخن يخفف من تصلب كتفيه ومن حدة الألم في مؤخرة عنقه.. فالصفوف الليلية بدأت تتعبه بعض الشيء ولم تعد تليق برجل في سنه..

كشر ريتشارد استهزاءً.. صحيح أنه تجاوز الثلاثين من عمره، إلا أنه لا يزال يتمتع باللياقة اللازمة لتدريب الطلاب البارعين حتى وإن اقتضى الأمر أن يخضع في الصباح التالي لجلسة تدليك للتخفيف من حدة التشنج..

ربما كان عليه أن يثبت ما يشاع عنه ويقبل عرض عيني جيني لوتور المشوشتين المغري.. ولعل أكثر ما لفت انتباهه هو تنافر عينيها مع ملابسها، وشعرها الكستنائي المعقوص إلى الخلف بعقدة علقت عليها بطة من المخمل.. بطة لاحظها على الفور لأن ابنة أخته البالغة من العمر خمسة أعوام، ألحت عليه ليشتري لها واحدة مماثلة..

إلاّ أن عينيها كانتا تفتقران إلى براءة الأطفال.. إذ امتزج فيهما اللون الرمادي باللون الأخضر، فبدتا حادتين ساحرتين تحت حاجبيها المرسومين بدقة.

ماتت التكشيرة على شفتيه وهو يهز رأسه ويحول المياه من ساخنة إلى باردة، ليقف بعدئذ تحتها وهو يعد ببطء لغاية عشرين. وعندما

www.liilas.com/vb3 منتديات ليلاس الثقافية

انتهى، التقط المنشفة ولفها على خصره ثم أخذ منشفة أخرى وراح ينشف بها شعره وهو يتوجه إلى غرفة النوم، مخلفاً آثار قدميه المبللتين على السجاد. .

عليه أن يرتشف كوباً من عصير البرتقال. ثم فنجاناً من القهوة، ليأكل بعدئذ طبقاً من البيض المقلي ويتناسى موضوع الجنس اللطيف كلياً. .

فعلى الرغم من ملابسها البشعة تمكنت جيني لوتور من إغوائه بجسدها المثير. . لكنه لم يكن مستعداً للوقوع أسير سحرها. .

ففي الأسابيع الماضية أحبط ريتشارد محاولات عدة لاختراق حزامه الأمني، وسرقة البرنامج الذي طورته شركته مؤخراً، وهو برنامج يخضع حالياً لمرحلة اختبار قاسية. . وكان يأمل أن يستسلم أعداؤه، ويكفوا عن محاولاتهم تلك، إلا أنهم لم يفعلوا على ما يبدو.

رسم على شفتيه ابتسامة عريضة وهو يأخذ سماعة الهاتف ليتصل بالمهندس المسؤول عن البرامج في شركته، فيما كان ينزل السلم متوجهاً إلى المطبخ.

مما لا شك فيه أنها كانت تكذب جهراً، فمن الصعب على أي هامستر مهما كان رياضياً أن يصعد ذلك الدرج. ولكنه استمتع كثيراً برؤية جيني تتخبط لتنتشل نفسها من الورطة التي وقعت فيها. .

وبالرغم من أنها تعمل في حقل التجسس، إلاّ أنها من النوع الذي يحمر خجلاً بسهولة، مما أضفى عليها شيئاً من البراءة لا يتماشى مع نظراتها المثيرة التي قد تخدع أي رجل فيصدقها. . .

ربما كان ليشعر بقلق أكبر لو أن شقته تحتوي على أشياء ذات قيمة لتسرقها. . ولكن المسألة ليست خطيرة، وعليه أن ينتظر خطوتها التالية.

عاد بذهنه إلى شؤون أكثر أهمية حين سمع صوت المهندس على

الطرف الآخر من الخط:

ـ اسمع يا ماركوس. . وجدت حلاً للمشكلة التي كنا نواجهها.

وإذ وجد نفسه قبالة غرفة الجلوس الفسيحة، رأى الجورب الأسود الحريري، فتذكر الصهباء المغرية التي اصطحبها إلى حفلة أقامها على شرف أحد مدرائه المتقاعدين.

ـ سأصل بعد نصف ساعة لتسريع عجلة الأمور.

وأقفل الخط من دون أن ينتظر الرد، وقد تنبه في تلك اللحظة إلى أن القرط في غرفته لليليان. . . فلا شك أنها نفذت طلبه بحذافيره حين أكد لها أن غيابه لن يستغرق أكثر من خمس دقائق، مقترحاً عليها أن تتصرف وكأنها في منزلها.

كم من الوقت تراها انتظرته؟ كم من الوقت مرّ قبل أن تثور ثائرتها وتنفجر غاضبة؟.

يبدو أنها انتظرت طويلاً لتترك له رسالة صغيرة وتعلقها بجوربها، وكأنها تعمدت أن تلمح إلى ما فاته. . .

تنهد ريتشارد بحسرة. . فمنذ أسابيع عدة وهي تراوغه وتلعب لعبة الفتاة الصعبة المنال، لعبة تروق له كثيراً. إذ من النادر أن يقاتل المرء لنيل فتاة مماثلة هذه الأيام. . . ولكنه ليس مغفلاً، ويفهم قواعد اللعبة جيداً. . فتركها تصدق بأن وهج انتصارها سيكون أعظم كلما طالت فترة صدها له.

أما في قرارة نفسه فكان ريتشارد ينتظر اليوم الموعود بفارغ الصبر، إلا أنه صادف البارحة، في الوقت عينه الذي وجد فيه جواباً لمعضلة حيّرت فريق التطوير على مدى أسبوعين. .

سحب ريتشارد الجورب ففاحت رائحة العطر الذي كانت تضعه. . ووجد نفسه مرغماً على أن يعالج المسائل العالقة، الواحدة تلو الأخرى وهو يتأمل المنديل يقع على الأرض.

www.liilas.com/vb3

فالأولوية تبقى لعمله وليس لحياته الشخصية . .

هز ريتشارد كتفيه بلا مبالاة وهو يلتقط المنديل ليقرأ ما كتب عليه . كانت رسالتها موجزة ودقيقة، وكأنها تفادت أن تهدر الكلمات سدى . مكتفية بعبارة واحدة تفي بالغرض المطلوب: «فاشل» .

تبقى، من جهة أخرى، مسألة القرط الذي عثرت عليه زائرة متطفلة . هذا القرط الذي لا يفترض به العثور عليه سريعاً، والذي يشير إلى أنها منحت نفسها فرصة لتتصل به، بعد أن يمر وقت كافٍ ليدرك أنها تضايقت منه فعلاً . وهكذا، تمنحه فرصة ليطلب منها الغفران، فتستأنف المطاردة مجدداً .

عبقت رائحة البن المطحون في أنفه فضاقت عيناه ظناً منه أن جيني لوتور لم تكن على عجلة من أمرها كما ادّعت أمامه . .

ألقى المنديل والجورب على الكنبة وأسرع إلى المطبخ وهو يقول:

ـ قررت في نهاية المطاف أن تبقي على الفطور . .

وتوقف مذهولاً وهو يرى أمامه مديرة المنزل تعد القهوة، فتملكته مشاعر غريبة عجز عن فهم حقيقتها .

صحيح أنه ارتاح لرفضها دعوته وانتهازها الفرصة للتقرب منه إلا أن آماله خابت للسبب عينه أيضاً .

من ناحية أخرى، كان ريتشارد واثقاً تمام الثقة من أنها ستعود لزيارته، متخذة من الهامستر المزعوم حجة ملائمة لتطرق بابه ساعة يحلو لها، من دون أن يقدم على أي خطوة لصدها . فهو لا يشك أبداً في أنها العقل المدبر، ولكنه يريد أن يكشف هوية مرسلها فحسب .

ـ صباح الخير سيد مالوري . . حضّرت لك القهوة . . أتريدني أن أعد لك الفطور؟ .

أجابها وقد فقد فجأة شهيته للأكل:

ـ لا شكراً . . سأتناول شيئاً في المكتب . . على فكرة، لا تنسي أن تبحثي عن هامستر الآنسة لوتور .

ـ طبعاً . . وأعتذر لإزعاجها لك . . لم أكن أعلم أنك في المنزل . .

ـ لا عليك . . عدت في ساعة متأخرة .

ليته غادر المكتب عند الخامسة أو أخذ يوم إجازة، كما كان ينوي أن يفعل لتتمكن جيني لوتور من تفتيش الشقة على سجيتها من دون أن تتكبد مديرة المنزل عناء ذكر الأمر أمامه .

وأدرك في تلك اللحظة أن تحججها بالهامستر كان في غاية الذكاء، وإلا لاستخف بأمر تلك الفتاة . . ولكن من قال إنها مجرد فتاة مراهقة؟ فمع أنها تحمر خجلاً كالمراهقات، إلا أن عينيها وجسمها تنبض أنوثة . .

سألها وكأنه يريد أن يتأكد من جديد:

ـ إنها تقيم في شقة آل ماكبرايد خلال فصل الصيف .

ـ هذا صحيح . . ستعتني بالمنزل خلال غيابهما . . ولكنها شابة هادئة مقارنة بالطلاب أمثالها .

ربما كانت محقة . . . ولكن هدوءها لا يعني أنها ليست مخادعة، لأن ثمن البرنامج الذي طوره مالوري مؤخراً يكفي لإغواء أكثر النفوس براءة . . أو لعلها تقوم بذلك من أجل رجل ما . .

صحيح أن الحمرة تعلو خديها، وكأنها فتاة قروية من القرن التاسع عشر، ولكن عينيها تتنافران بشكل واضح مع هدوئها وتهذيبها .

ـ هل هي طالبة؟ .

ـ هذا ما تدعيه خادمة الليدي ماكبرايد .

ـ وهل تقيم في الشقة بمفردها؟ .

ـ أجل، يبدو أنها تحتاج إلى مكان هادىء لتدرس فيه .

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

- حسناً . أعلميني في حال عثرت على ذلك المخلوق.

- حاضر، سيد مالوري.

حمل ريتشارد فنجان القهوة وعاد إلى غرفته ليتصل بسكرتيرته قائلاً لها:

- أريدك أن تنسقي لي باقة من الورد يا ويندي.

سألته بلهجة مفعمة بالأمل:

- من أجل ليليان الجميلة؟.

- كلا.

فليليان فقدت حقها بالورود أو بالاعتذار حين تجرأت على كتابة تلك الرسالة الموجزة.. وعليه الآن أن يعذبها بعض الشيء قبل أن يعاود الاتصال بها.

قطعت ويندي حبل أفكاره سائلة:

- ما الذي حصل؟

- ماذا؟.. لم يحصل شيء.

- كيف؟ غادرت الحفلة برفقة أجمل امرأة، فما الذي حصل؟.

- لا شيء.. خطرت لي فكرة، ولم أدرك أن التحقق منها قد يتطلب أكثر من خمس دقائق..

- وطلع الفجر قبل أن تعي ذلك... إنك تبالغ ريتشارد!.

- أعترف بأنني فاشل كإنسان ولكن جهاز الكومبيوتر يحبني.

- أتظن أن جهاز الكومبيوتر سيدفئك عند تقدمك في السن؟.

- كلا.. ولكنني سأدفع لشركة الكهرباء لتقوم بهذه المهمة.

حذرته قائلة:

- سينتهي بك الأمر عجوزاً وحيداً..

أجابها على الفور وقد أخذ يتململ ضجراً من هذا الحديث:

- افتحي صفحة الأخبار الاجتماعية في الصحف والمجلات.. هل

سمعت يوماً عن مليونير عجوز يعاني من الوحدة سواء أكان عازباً أم لا!.

ثم أضاف بحدة:

- الورد لشقيقتي.. إنه عيد زواجها.

- أمرت بإرسال باقة لها.

- حقاً؟ متى؟.

- عند استلامي الدعوة.. واقترحت على الفتيات في المكتب أن تراهن على أنك ستتملص من الدعوة... فأختك تفتقر إلى المكر، وتريد أن تزوجك مهما كلف الأمر، لتنجب أبناء خال لأولادها، ولكن الفتيات يعرفنك جيداً ويرفضن المراهنة.. حتى الموظفة الجديدة في مختبر إعداد البرامج..

إنها تمزح من دون أدنى شك.

- وفري ابتهاجك لوقت لاحق يا ويندي، واعملي على دعوة أعضاء فريق الأبحاث والتطوير على الغداء في قاعة الاجتماعات عند الساعة الواحدة.. سأصل في غضون نصف ساعة.

- يستحسن أن ترسل باقة من الورد لليليان أيضاً.

بدأت ويندي العمل معه منذ تأسيس الشركة، ولازمته في السراء والضراء.. فباتت تحسب نفسها قادرة على التعامل معه وكأنها مربية متسلطة.. ومع أنه يسمح لها في بعض الأحيان، بالتمادي في لعب هذا الدور، من دون أن يقمعها، إلا أن مزاجه اليوم سيء ولن يدعها تحقق مرادها.

- ليس لدي الوقت لهذه التفاهات.

- هل الوضع قابل للإنقاذ؟ ما هو العذر الذي ستتذرع به؟.

كيف خطر له أنه يستطيع خداعها؟ فهي قادرة دوماً على الوصول إلى مبتغاها.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

- لن أتذرع بأي أعذار.

لكنه ما لبث أن أدرك أنه لا يملك الوقت للتفاهات فعلاً، فاستطرد يقول معترفاً في قرارة نفسه بأن ليليان تستحق الاعتذار:

- حسناً أرسلي لها الورود، ولكن إياك والورد الأحمر..

- الورود الحمراء غاية في الابتذال.. كما أنك محق ولا ينبغي أن نزرع الأمل في قلبها... فهي مجرد نزوة عابرة.

- ما الذي تقصدينه بذلك؟.

- أقصد أنها جُبلت من الطينة نفسها التي جُبلت منها الفتيات اللواتي مررن في حياتك كلهن.. وحدها الأسماء والأشكال تتغير.

فتح ريتشارد فمه ليعترض إلا أنه عدل عن ذلك، إذ أدرك أن امتناعه عن الرد سيضع حداً لحديثهما. لكن ويندي بدت مصممة على الاسترسال في الكلام، إذ تابعت تقول:

- ما الذي يميزك عن سواك من الرجال؟ فوحدها القشور الخارجية تجذبك. لكن المرأة الذكية تدرك على الفور أنها لن تحتل إلا المرتبة الثانية في حياتك، بعد جهاز الكومبيوتر، فتصدّك...

طفح كيل ريتشارد فسألها بنفاد صبر: «ما المغزى من حديثك هذا؟».

تنهدت ويندي وأجابته: «لا عليك.. دع الأمر لي.. وسأجد العبارات المناسبة لأحرك مشاعرها فتصفح عنك. أتريد شيئاً آخر؟».

- كلا.. بلى... هل كان لديك يوماً هامستر؟.

ردت بحدة: «لا أظن أن الهامستر يحل محل علاقة جيدة... ولكنني أرى فيه تقدماً ملحوظاً على الكومبيوتر.. لماذا؟».

- علمت أن ثمة هامستر طليق في شقتي.

- إنتبه إذن إلى الأسلاك.. كان لأولادي واحد وأؤكد لك أنه يمضغ كل ما يقع في طريقه.

- ممتاز.. قولي لفريق العمل إنني لن أصل قبل ساعة.. علي أن أخلي مكتبي من الفئران.

ساورته الشكوك، في لحظة من اللحظات، حول وجود الفأر المزعوم، لكنه لم يكن مستعداً للمجازفة.

صحيح أن الحمرة تعلو خدي أفيجينا لوتور كفتاة بريئة لا تعرف الخداع إلا أنه لا يستبعد إمكانية إقدامها على إطلاق سراح صديقها الصغير المكسو بالفرو في شقته لتجد عذراً شرعياً لتفتيشها.

فلمَ تراها تلجأ إلى الكذب في حين أنها تستطيع القيام بذلك فعلاً؟ إن منطق الأمور يقول إن الهامستر الشهير إن لم يكن من نسج خيالها، سيظهر حتماً عاجلاً أم آجلاً.. وإلا، ستتذرع بحجج لا تحصى لزيارته ثانية.

أيعقل أن تتحلى بهذا الذكاء كله؟ فمظهرها الخارجي يوحي بالبراءة غير أن عينيها تشعان ببريق يحذره من مغبة المجازفة، لذا عليه ألا يستخف بأمرها ويتوقع الأسوأ.

بلغ الاضطراب من جيني مبلغاً وفضلت ألا تستقل القطار لتذهب إلى عملها قبل أن تتمالك نفسها... فاشترت سندويشاً وكوباً من القهوة، وقصدت متنزهاً صغيراً، حيث راحت تفتت الخبز وترميه للطيور، محاولة أن تماطل قدر المستطاع قبل أن تتصل بصوفي وتبلغها بفشلها.

لكن الخبز نفد منها، وبدأ الوقت يداهمها؛ فأخرجت هاتفها الخلوي وطلبت الرقم وإذا بصوفي ترد عليها بلهفة وكأنها تنتظر اتصالها والهاتف بين يديها. فسألتها من دون تمهيد:

- ما الذي حصل؟.

أجابتها بصوت خافت:

- آسفة يا صوفي ولكن درج المكتب كان مقفلاً.. ولما صعدت

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

إلى الطابق العلوي للبحث عن المفتاح . .

ترددت جيني قليلاً، وتساءلت في سرها عمّا إذا كانت تريد حقاً أن تسلي صوفي بحادثة لقائها بريتشارد مالوري .

ـ قاطعني أحدهم .

ـ من؟ .

ـ لا تقلقي يا صوفي . . لم أواجه أي مشكلة .

انتاب جيني إحساس مفاجيء بأن صوفي أصيبت بخيبة أمل .

ـ لا بأس . . . يمكنك أن تحاولي ثانية في الغد .

ـ اسمعي، ما رأيك لو تعترفي بما فعلته؟ لا شك أن ريتشارد مالوري سيتفهم الأمر! إذ لست أول موظفة تمحو ملفاً! .

ـ أنت لا تفهمين شيئاً! كان علي أن أنسخه وأحفظه و . . .

ـ تمالكي نفسك يا صوفي .

رباه! لا بد أن اليأس سيطر عليها لتتعلق بهذه الوظيفة بهذا القدر . . فهي لم ترها في هذه الحالة المريعة من قبل .

ـ ألا يمكنك إغواء أحد الموظفين العاملين معك ليبحث لك عن الملف داخل النظام؟ .

ـ كلا . . إنها وظيفة محترمة، ولا أريد الإقرار بما فعلته خشية أن أخسرها . . . فضلاً عن أنه من الصعب أن نعبث بذاكرة الجهاز الأساسي من دون أن تنطلق أجهزة الإنذار . . . فالرجل مصاب بهوس التدابير الأمنية المشددة .

أجابتها جيني بجفاف :

ـ أشكرك لأنك نبهتني .

ـ ماذا؟ . . آه . . فهمت قصدك . . ولكنك في أمان في شقته لأنه لا يتوقع أن يقتحمها أحد أليس كذلك؟ كما أنك لا تريدين سرقة برنامجه السري الثمين .

ـ وهل سيصدق ذلك؟ .

ـ لن يعرف أبداً . . . قلت لك إنه عيد زواج أخته وسيذهب إلى (غلوسيسترشاير) ليشاركها فرحتها .

وربما كان من المفترض به أن يذهب في رحلة في عطلة نهاية الأسبوع، لكن صاحبة الجورب الحريري شغلته .

ـ اسمعي يا جيني . . من المهم جداً أن تعثري على القرص . . . عليّ أن أثبت لوالدي أنني قادرة على الحفاظ على وظيفتي .

ـ لماذا؟ .

تنهدت صوفي وأجابت :

ـ لأنه سئم من إعالتي .

لم تواجه جيني مشكلة مماثلة في حياتها . . فكيف لها أن تفتقد إلى شيء لم تحصل عليه أبداً؟ .

ـ ألم يهددك والدك آلاف المرات بأن يقطع عنك المصروف؟ تعلمين جيداً أنه لا يقصد ذلك .

ـ ولكنه جاد في كلامه هذه المرة، والذنب ذنب أختي .

ـ ما الذي فعلته كايت لتستحق الملامة؟ .

ـ تزوجت من محام ثري، سيرث قريباً لقباً رفيعاً وأملاكاً شاسعة . . فرأى والدي بعد مقارنة مصاريف الزفاف بمصاريفي الشخصية، أن الزواج أوفر على المدى البعيد . . لذا وجد لي عريساً ضعيف الشخصية، ينتظر موافقتي بفارغ الصبر ليزيح عن كاهل والدي مشقة إعالتي .

ـ وهل سيرث أيضاً أملاكاً شاسعة ولقباً رفيعاً؟ .

ـ قلما يهمني الأمر . . أمامي الآن ثلاثة خيارات . . . فإما أن أتزوجه، أو أتزوج سواه، أو أعيل نفسي .

ـ الخيار صعب .

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

لم تلاحظ صوفي نبرتها الساخرة إذ تابعت تقول:

ـ بل هو الأسوأ.. وحدها وظيفتي الحالية قد تنقذني من قدر أسوأ من الموت.

ـ ربما كان العريس لطيفاً.

ـ لا بد أنه لطيف.. ولكنني لا أحتاج للطفه.

وتوقفت فجأة عن الكلام قبل أن تستطرد قائلة:

ـ هل تقبلين يا جيني الزواج من رجل اختاره لك والدك؟ آه... اللعنة.. آسفة.. لم أقصد ذلك..

وإذ بدا الندم في صوتها، أسرعت جيني تقول لها:

ـ لا عليك... لا داعي للقلق.

فعلى الرغم من الاختلاف الواضح في شخصيتيهما، تعلقتا ببعضهما البعض منذ أول يوم لهما في المدرسة. وتمكنت صوفي صاحبة لقب الفتاة الأكثر شعبية في صفها، من أن تحول دون أن ينعت الأولاد جيني باسم لا يليق مطلقاً بفتاة في الخامسة من عمرها.

ونظراً لميلها الفطري إلى الوحدة، لم تكن جيني تتمتع بالخبرة اللازمة للاختلاط بالأولاد الذين في مثل سنها، فضلاً عن أنها لم تدرك مدى غرابة اسمها إلا عندما فوجئت بسخرية أولاد صفها.

منذ اللحظة الأولى للقائهما قررت صوفي أن تتولى حمايتها، لأسباب، لم تدرك أي منهما كنهها... أسباب لم تحاول جيني يوماً اكتشافها، لأنها كانت ممتنة لها أشد الامتنان لإنقاذها من مضايقات الأولاد، بعد أن حضنتها وجعلتها فرداً من مجموعتها، مع أن ماضيها غريب، وقلما تهمها الموضة، والحفلات الصاخبة والصبية وتميل للوحدة..

ولكن مع انطلاقها إلى العالم الخارجي، تعلمت جيني أن تتعامل مع الناس بطريقتها الخاصة..

ـ لا تقلقي.. سأحاول مرة أخرى، اتفقنا؟.

ـ حقاً؟ أشكر الله لأن حموي فيلي وافقا على أن تقيمي في شقتهما في فصل الصيف.. كنت أود أن أسكنك في غرفة الضيوف في شقتي.. لكن عمتي كورا فرضت عليّ ضيوفها.

ـ لا تنسي أنه منزلها يا صوفي!

على الرغم من حبها الشديد لصوفي لم تأتِ جيني إلى لندن طلباً للهو، بل جاءت تبحث عن الهدوء لتتمكن من إنجاز عملها، ووجدت في شقة ماكبرايد ضالتها.

ـ أظنك على حق...

أقفلت جيني الخط وهي تفكر بطريقة ملائمة لتدخل إلى الشقة من دون أن تراها السيدة فيفيس؛ إذ كانت على يقين من أن مالوري غادر المنزل الآن، وقصد الريف لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

أعادت هاتفها الخلوي إلى حقيبة يدها وقالت: «عزيزي هيكتور، عليك أن تعود إلى العمل».

ـ ريتشارد؟.

رفع ريتشارد عينيه عن رزمة الورق التي كان يخربش عليها رسم هامستر.. هامستر مشعث الشعر يتدلى فوق أذنه غصن صغير ويضع نظارات كبيرة الحجم، وخداه متوهجان.

وتنبه فجأة إلى أن الجميع ينتظرون منه أن يقول شيئاً، فلملم شتات أفكاره على عجل، ثم هب واقفاً وقال:

ـ الوقت يداهمنا وأريدكم أن تنجزوا هذا العمل اليوم.

كانت ويندي تجلس إلى جانبه تدون الملاحظات، فلحقت به إلى مكتبه وأقفلت الباب خلفها، حاملة رزمة الورق التي تركها على طاولة الاجتماعات بيدها:

ـ حسناً.. حدثني عن الهامستر.

ـ ينتمي الهامستر الذهبي إلى فئة الثدييات الليلية، اكتشف في أوائل القرن العشرين في الصحراء السورية.. إنه حيوان أليف يحبه الأولاد.. ولكنني أجد ذلك غريباً بعض الشيء لأنه لا يستيقظ من سباته إلا مع حلول الظلام.

ـ صدقني، لو كنت حيواناً أليفاً يتسلى بي صبي فضولي، لاخترت أن أكون من الحيوانات الليلية.

وضعت ويندي رزمة الورق على المكتب وتابعت تقول:

ـ حسناً. عشرة على عشرة على الفرض المنزلي.. حدثني الآن عن صاحبة النظارات.. أهذا خد متورد؟.

أخذ الأوراق منها ليمعن النظر في الرسم، وقد أحس بقشعريرة تسري في جسمه وهو يتذكر الحمرة التي علت خدي جيني لوتور وملمس شعرها الحريري وهو ينزع الغصن العالق فيه، وعينيها الرماديتين المائلتين إلى الخضرة، اللتين تبرقان ببريق غريب، يتنافر مع ملابسها الخالية من الإغراء.

ـ إنها تهتم بمنزل جيراني في الشقة المجاورة في فصل الصيف.

ورمى الأوراق على الطاولة خلفه حيث لا يمكنه رؤيتها.

ـ أرجو المعذرة؟ أتقصد أنها فتاة حقيقية، قديمة الطراز تقيم في المنزل المجاور؟.

ـ إنها فتاة حقيقية، تقيم في المنزل المجاور.

سحبت ويندي الورقة لتلقي نظرة أخرى عليها ثم قالت له:

ـ أريد أن أعرف كل شيء.. ما اسمها؟

لم يجبها على الفور. كان ذهنه مشغولاً، يقاوم صورتها وهي تعض على شفتها السفلى الممتلئة.. أتراها ردة فعل طبيعية على الذبذبات الكهربائية التي سرت بينهما؟ أم أنها تعمدت القيام بذلك لإغوائه؟.

وبعد مرور لحظات أجابها بحدة:

ـ مشاكل!

لكنه لن يتمكن من تحديد خطورة هذه المشاكل قبل أن يحصل على نتائج التحريات التي أمر بإجرائها عنها.

* * *

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

٣ ـ عون إلهي

قرعت جيني جرس الباب ووقفت تنتظر بقلق. . .

فقبل أن تقصد شقة ريتشارد مالوري وترتكب الخطأ عينه مرتين فضّلت أن تنزل أولاً إلى مرآب السيارات في الطابق السفلي، وتتأكد بنفسها من أن المكان المخصص لسيارته فارغاً. . . مما يعني أنه قصد الريف لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، تاركاً الساحة خالية أمامها.

وعلى الرغم من ذلك، لم تستطع أن تمنع دقات قلبها من التسارع، ويديها من التصبب عرقاً، فخاب أملها بالحفاظ على رباطة جأشها كما كانت تتمنى في قرارة نفسها.

ـ آنسة لوتور؟.

خطر لجيني أن تحاول التأثير على السيدة فيغيس فاستبدلت ملابسها الرثة بتنورة طويلة تنسدل بنعومة على جسدها وقميص من الكتان الأبيض، وحذاء خفيف لا يترك أثراً على الأرض الخشبية. غير أن المرأة لم تبدُ مسرورة أبداً لرؤيتها:

ـ هل عثرت على حيوانك الضائع؟.

وعلت وجهها تعابير تدل على استخفافها بالشابات اللواتي يتخذن من الحيوانات الصغيرة رفاقاً لهنّ، ويتركنها تتسلل إلى شقق الجيران.

ـ أخشى أنني لم أعثر عليه بعد. لذا أرجو أن تقبلي مني هذه الهدية، بمثابة تعويض بسيط عن الأعمال الإضافية التي سيسببها لك إن

لم نعثر عليه.

وابتسمت لها ابتسامة اعتذار، ابتسامة لم تتكبد الكثير من العناء لرسمها على شفتيها، لأنها كانت تشعر بالأسف الشديد لإقدامها على ذلك. لكنها لا تستطيع أن تتخلى عن صوفي في ساعة الشدة.

علاوة على ذلك، كانت تدرك في قرارة نفسها أن الإحساس بالرضى سيغمرها لتفوقها على ريتشارد مالوري دهاءً.

وبعد أن تنتهي من هذه القضية، يمكنها الاستمتاع بانتصارها في شقتها الصغيرة الهادئة.

ـ أعتذر لك مسبقاً.

ومدت يدها تناولها الهدية.

ـ أعمال إضافية؟.

وقفت السيدة فيغيس مذهولة تتأمل النبتة الغريبة المزهرة التي أحضرتها جيني.

ـ عليك أن تنظفي الأوساخ التي يرميها. فهو يمزق الورق وكل ما يقع عليه ويزرع الفوضى في كل مكان لا سيما إن انتابه الذعر. أشعر بالسوء حيال ذلك، وأردت أن أطلب منك أن تناديني لأهتم بالأمر.

ـ الفوضى؟.

رفعت السيدة فيغيس عينيها إليها وقد فهمت أخيراً ما تحاول جيني قوله.

ـ أتقصدين أنه يترك روثه في كل مكان كالجرذان؟.

وبدت إمارات الغضب واضحة على وجهها وهي تتخيل الوضع.

ـ تقريباً!.

صحيح أنها لم تتمكن يوماً من تربية حيوان أليف ولكن روث القارض لن يختلف حتماً عن سواه.

عقدت جيني يديها خلف ظهرها واستطردت تقول:

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

- أرجو ألا يمضغ سجادات السيد مالوري الثمينة.

كانت كلماتها الأخيرة حاسمة إذ فتحت السيدة فيغيس لها الباب على مصراعيه قائلة:

- ما رأيك لو تدخلين وتبحثين عنه قبل أن يسبب أي ضرر؟.

- ألن أؤخرك؟ لا بد أنك كنت على وشك الانصراف.. يمكنني أن أعود لاحقاً عند عودة السيد مالوري.

- إنه رجل شديد الانشغال، ويستحسن ألا نزعجه بشأن الموضوع ثانية!.

أيعقل أن تتفق المرأتان على الفكرة نفسها؟.

- يمكنني أن أشغل نفسي بكي الملابس.

- إن كنت تصرين على ذلك.

كانت جيني تشك في أن تسمح لها خادمة مالوري بتفتيش المنزل من دون أن تراقبها عن كثب، وتكتفي بأن تشغل جهاز الإنذار قبل مغادرتها.

فدخلت إلى الشقة قائلة:

- هذا لطف منك.. سأحاول ألا أبقى طويلاً.

- خذي وقتك يا آنسة لوتور.. سأشعر بسعادة أكبر إن عدت إلى المنزل مرتاحة البال، لا يشغل رأسي الحيوان الصغير الذي يزرع الفوضى في المنزل.

شعرت جيني بالذنب وهي ترى نظرات الرعب في عينيها وقررت في سرها أن تعوض على هذه المرأة ما فعلته بها... قد تشتري لها تذكرتين لحضور عرض موسيقي برفقة البواب، فتكفر قليلاً عن ذنبها، وتعزز علاقة حبهما.

لحقت بالسيدة فيغيس إلى غرفة الجلوس، فلاحظت أن آثار صاحبة الجورب الحريري الأسود أزيلت كلياً.

- ما رأيك لو تصعدين إلى الطابق العلوي يا آنسة لوتور وتعودين بعدئذ للبحث في الطابق السفلي؟.

- ماذا؟.. آه.. صحيح.

نظرت إلى السلم اللولبي والاضطراب بادٍ عليها إذ لم تكن ترغب أبداً في العودة إلى هناك.. لكن الأوان فات للتراجع وعليها الآن أن تعثر على المفاتيح وتنقذ صوفي.

افتر ثغرها عن ابتسامة مشرقة وقالت:

- فكرة جيدة!.

يا لها من منافقة! فقد كانت تدرك في قرارة نفسها أنها أسوأ فكرة سمعتها على الإطلاق لكنها عادت وذكرت نفسها بأنه لا يستلقي بتكاسل تحت الشراشف بعد ليلة حب عاصفة، بل هو في طريقه إلى غلوسيسترشاير) ليختبر على الأرجح علاقة حب عابرة جديدة.

أبعدت هذه الصورة عن ذهنها وفتحت باب غرفة نومه لتتفاجأ بها هذه المرة مغمورة بأشعة الشمس الدافئة وقد فرشت الأغطية بترتيب واضح على السرير الواسع، وأزيل الغبار عن المنضدتين المجاورتين له.

غير أن الإحساس بحضوره كان قوياً للغاية وكأنه في الغرفة معها.

أخذت نفساً عميقاً وقد أحست بأعصابها مشدودة؛ فالمحنة التي تمرّ بها ليست بالبسيطة وكلما أسرعت في إنجاز مهمتها كلما تمكنت من الاسترخاء سريعاً.

فتحت جيني بسرعة الدرج الذي عصى عليها في المرة السابقة، فوجدت فيه محفظة قيمة وصوراً لعائلة، فضلاً عن صور حديثة لامرأة في مقتبل العمر أوحى لها الشبه الشديد بينهما بأنها أخته، ومعها ولدين يافعين.

ولفتت انتباهها صورة قديمة لمالوري وهو في سن المراهقة،

www.liilas.com/vb3 منتديات ليلاس الثقافية

يحمل بين ذراعيه جرواً صغيراً.

أحست جيني بغصة في حلقها. هل يمكن لرجل يحتفظ بصورة كلبه في درجه، أن يكون وحشاً فتاكاً؟.

ابتلعت ريقها بصعوبة وأعادت الصور إلى مكانها وتوجهت إلى الحمام مرددة في سرّها أن أمره لا يعنيها مطلقاً، واهتمامها به يقتصر على المفتاح الذي بحوزته.

انكبت جيني على تفتيش خزائن الحمام وكأنه قد يخطر لرجل سليم العقل أن يحتفظ بالمفتاح الإضافي في الحمام. غير أن ذلك أعطاها الفرصة لتشم عطر ما بعد الحلاقة الذي يستعمله.

ولكن ما الذي تفعله؟ وكيف سمحت لنفسها بأن تتلكأ بدلاً من أن تدخل إلى حجرة الملابس حيث من الممكن أن تجد المفتاح؟.

لم تجد في الأدراج المخصصة للأزرار، إلا أزراراً للقمصان.. والكثير منها. فخطر لها أنه تلقاها جميعها كهدايا في أعياد ميلاده أو الأعياد الأخرى، لأن معجباته لن تجدنّ هدية أفضل تقدمنها لشخص يملك كل شيء.

فتحت جيني الدرج الثاني، ووقفت مذهولة تتأمل ربطات العنق الحريرية، الرفيعة الذوق التي تحمل جميعها لمسة خفيفة من زرقة عينيه.

أما الأدراج الأخرى فلم تجد فيها إلا جوارب وقمصاناً قطنية مكوية بشكل جميل وملابس داخلية من مختلف الألوان...

انتزعت يدها على عجل وأغلقت الدرج ثم وقفت أمام خزانة ملابسه عند الحائط المقابل وراحت تبحث في جيبه، وهي تدرك في أعماقها أن ما تفعله إنما يدل على مدى غبائها.

فالسيدة فيغيس تأبى حتماً أن تعلق سترة ما من دون أن تفرغ جيوبها أولاً.

سمعت باب الغرف يفتح وكأن السيدة فيغيس أتت تستعجلها، توقفت داخل الخزانة وهي تنادي بتودد مبعدة بيدها حذاءً ثقيلاً للمشي:

ـ هيكتور.. أين أنت يا عزيزي؟.

وعندما لامست أصابعها شيئاً ناعماً كثير الشعر. أجفلت وسحبتها بعصبية وأسرعت تخرج من الخزانة وقلبها يتخبط بين ضلوعها.

ابتلعت جيني ريقها بصعوبة واستجمعت قواها ثم أبعدت الحذاء لتلقي نظرة عن كثب:

ـ إنه جورب.. إنه جورب صوفي قديم.

يا لها من حمقاء! من قال لها إن السيدة فيغيس لا تغض الطرف أحياناً عن بعض الأمور؟.

رفعت عينيها متوقعة أن تراها عند الباب، فعلت وجهها علامات الاستهجان وصرخت قائلة:

ـ تباً!.

لم تجد كلمة أفضل لتعبر عن المشاعر التي خالجتها وهي ترى ريشارد مالوري واقفاً يتأملها وفي عينيه نظرات لم تستطع أن تسبر أغوارها.

قال لها ببرودة:

ـ إنها المرة الثانية التي أجدك فيها في غرفتي.. أتحاولين أن تقولي لي شيئاً؟.

كان يتحدث بثقة مطلقة بالنفس وكأنه اعتاد منذ صباه أن ترتمي النساء عند قدميه، فلم يجد فيها إلا امرأة أخرى مثيرة للشفقة تحاول لفت انتباهه بأي ثمن.

علمت أنه لم يصدّق قصة هيكتور...

إنه حقاً موقف سخيف! لكنها بذلت جهداً كبيراً لتضبط أعصابها

وترسم على ثغرها ابتسامة رقيقة وهي تقول:

- يبدو الأمر سيئاً أليس كذلك؟.

- إنها قصة مثيرة قد تشكل سبقاً صحافياً لا مثيل له... ولكنني لن أتفوه بكلمة إن أبقيت الأمر سراً.

ومد يده ليساعدها على الوقوف فلم تستطع أن ترفض إذ أحست بوهن في رجليها سمّرها في مكانها.

شد ريتشارد على أصابعها لبعض الوقت فلم يحرّك أي منهما ساكناً وكأن عقارب الساعة توقفت فجأة عن الدوران.. لكنه لم يلبث أن أوقفها على رجليها، فلامس أنفها ياقة قميصه لتعبق في أنفها رائحة الكتان الناعم الممزوجة بحرارة بشرته.

استجمعت جيني قواها ورفعت نظرها إليه محاولة أن تجد عبارات ذكية تتفوه بها:

- لكنك لست عارياً هذه المرة.

وتنبهت في تلك اللحظة إلى وسامته الصارخة وهو يرتدي بذلة من الكتان بلون القشدة وقميصاً أزرق داكناً.

- انتظري قليلاً.

- لا داعي لذلك.

كان يمسك بيدها إلى صدره، فشعرت بنبضات قلبه.

- لقد اكتشفت ذوقك في الملابس الداخلية!

ممتاز يا جيني! ما رأيك لو تعترفين له بما يجول في خاطرك؟.

- في الواقع طلبت مني السيدة فيغيس..

- أعلم ذلك.. هل حالفك الحظ؟.

وساور جيني إحساس غريب بأنه لا يقصد هيكتور بسؤاله هذا.

- أنا..

وانفرجت أساريره في نهاية المطاف، واختفت تعابير الاستهجان

من عينيه فيما افتر ثغره عن ابتسامة عريضة، وقعت أسيرة سحرها لحظات قليلة.. إلا أنها أسرعت تسحب يدها من يده آملة أن تتمكن من استجماع أفكارها إن قطعت صلة الوصل بينهما. ثم رفعت نظاراتها إلى أعلى أنفها كما اعتادت أن تفعل.

في تلك اللحظة غاب عن ذهن ريتشارد مالوري أن جيني لوتور تفتش خزانة ملابسه بحثاً عن مفتاح مكتبه الإضافي، ووجد نفسه يتساءل عما كانت ستفعله بيدها لو لم تستعملها لتثبيت نظاراتها.. ترى ما الذي تخفيه خلفها؟.

لم يجد من طريقة أفضل لمعرفة ذلك سوى أن ينتزعها منها، متجاهلاً سخطها ويضعها بعيداً عن متناولها، فيتأكد بنفسه من أنها لا تستخدمها كوسيلة للتنكر فحسب.

وعلى الرغم من اكتشافه أنها تعاني من ضعف في النظر، لم يعدها إليها على الفور بل فتح أحد الأدراج وأخذ منه منديلاً، ثم راح ينظف العدستين الواحدة تلو الأخرى، بتأنٍ شديد علّه يتمكن من رؤية عينيها عن كثب... تينك العينين الواسعتين اللتين امتزج فيهما اللون الرمادي باللون الأخضر في تركيبة ساحرة، يحجبها ستار من رموش داكنة كثيفة خالية من الماسكرا التي تستعملها النساء عادة لتجميلها.

بدا اللون الرمادي المعدني طاغياً في انعكاس نور حجرة ملابسه الخافت، لكن اللون الأخضر يلمع ببريق غريب لمحه في الصباح، وحرك فيه مشاعر، لم يألفها من قبل، لكنه أخمدها بسرعة. مشاعر شبيهة بتلك التي ساورته وهو يتأمل مفاتن جسدها البارزة تحت قميصها الطويل الفضفاض. والحق يقال إن ملابسها بدت في عينيه أكثر إغواءً من الأثواب الفاضحة أو الدعوات الوقحة.

ماذا لو كان هذا مجرد قناع يخفي غاياتها الحقيقية؟ ومن هي جيني لوتور الحقيقية، المختبئة خلف هذه الملابس المختارة بعناية، وهذه

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

النظارات الكبيرة، والتي يبدو له اسمها غريباً ومألوفاً في آن معاً؟ عليه أن يجد أجوبة لتساؤلاته، مهما كلف الأمر!.

أعاد ريتشارد النظارات إلى مكانها وهو يقول:

ـ كانت متسخة!

لامست يده خديها المتوهجين فيما اشتبكت أنامله بشعرها الحريري المتدلي فوق أذنيها فاختلطت مشاعرهما ولم يعد يعي من منهما يرتعش أكثر. .

صحيح أن ما يشاع عنه ليس صحيحاً بكامله، لكنها تسللت إلى غرفته مرتين ولن يدعها تفلت من دون عقاب.

أخفض رأسه قليلاً ودس أصابعه في شعرها ليمسك بها لئلا تتمكن من الإفلات من بين يديه، ثم عانقها.

والغريب أنها لم تقاومه أو تصرخ استهجاناً أو تصفعه لوقاحته، بل دنت منه تحثه على احتضانها أكثر.

أبعد ريتشارد رأسه قليلاً ليتمكن من رؤية عينيها وقراءة أفكارها. .

أما جيني فبقيت ساكنة لا تتحرك وكأنها تخشى أن تفسد سحر تلك اللحظة. . لكنها ما لبثت أن أطلقت تنهيدة عميقة وفتحت عينيها فإذا بهما خضراوين صافيتين. .

أدرك ريتشارد في تلك اللحظة أنه سبر أغوار شخصية تلك المرأة الغامضة واخترق دفاعاتها كلها فغمرته البهجة لحظة وكأنه عثر على منجم ذهب عند طرف قوس قزح. . لقد أسر جوهر هذه المرأة في عناق واحد!.

وعادت الحقيقة تتجلى أمام عينيه. . أتراه هو من وقع أسيرها؟! وهل القناع الذي تسلحت به، مدروس ليخترقه. . أم تراه بدأ يفقد صوابه؟ فصرخ قائلاً:

ـ هذا غير حقيقي، كما تعلمين!.

فتحت فمها لترد عليه ولكن لسانها خيب أملها فتنحنحت وحاولت من جديد:

ـ ماذا؟.

ـ لا تستخدمي النظارات كوسيلة حماية. . . فالرجال لا يلتفتون إلى الفتيات اللواتي يضعن نظارات ولكن أنصحك بأن تفكري في ذلك قبل أن تتسللي إلى غرفتي ثانية.

وإذ خشي أن تعتبر كلامه بمثابة دعوة صريحة، أفلتها من بين يديه وتراجع إلى الخلف ليقف على مسافة بعيدة منها.

أخذت المشاعر القوية تتخبط داخل جيني. . . ليتها لم ترجع إلى شقته مرة أخرى! أحست بجهاز الإنذار ينطلق عندما لامس خدها بلحظات خلت لكن جسدها أبى أن يصغي إلى الرسائل التي كان دماغها يبعثها لها ملحاً عليه أن يتحرك ليغادر المكان طالما أن الفرصة سانحة بذلك.

غير أن ريتشارد مالوري عانقها ومحى بعناقه تاريخها كله فنسيت تصميمها على تجنب التورط معه، لا سيما وأنها تدرك تمام الإدراك أن اسمها يحمل معه إرثاً لا يمكنها أن تمحوه أبداً.

يا لغبائها! كيف غاب عن بالها أن تستدرك الأمور قبل فوات الأوان؟.

أحست بنيران الشوق تتحول إلى نيران غضب جامح وتملكتها رغبة ملحة بالتعبير عن رأيها فيه بصراحة. . لكن عقلها حذرها من مغبة القيام بذلك، ففضلت الانصياع للإشارات والالتزام بالصمت، لأنه الوحيد الذي لم يخذلها أبداً.

ولكن كيف علم بأمر النظارات؟

سألته فجأة بحدة:

ـ هل انتهيت من تفتيش أدراجي وأحذيتي؟

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

أجابته على عجل، وهي تبتعد عنه لئلا يقرأ أفكارها:

ـ أجل.

أملت فعلاً ألاّ يتمكّن من قراءة أفكارها، وصرخت:

ـ كلا!

فأجابها بخشونة:

ـ أرجو أن تستقري على رأي.

لكنه ما لبث أن ندم على خشونته، إذ خشي أن تجفل وتلوذ بالفرار قبل أن يتمكن من رفع النقاب عن أسرارها كلها.

ـ لقد أخفتني.. لم أكن أتوقع... قالت السيدة فيغيس إنك ذاهب في رحلة...

لهذا السبب عادت إذن.. كانت تحسبه مسافراً إلى الريف. ولكن ما الذي تبحث عنه في أحديته؟ ربما جواربه القديمة؟.

ـ بدلت رأيي.. قد أسافر غداً... لكن أرجو أن تكوني قد انتهيت من التفتيش.

ثم نظر إلى الجورب الذي كانت تتمسك به وكأن حياتها رهن به، وأضاف:

ـ أكره أن أعود إلى المنزل وأجد هيكتور مستقراً في درج جواربي.

رمت الجورب بسرعة على المنضدة وكأنه أحرق يدها وأجابت:

ـ لم أجده فيه... من الأفضل أن أنصرف.

ـ كلا.

ومد يده وأمسك بمعصمها قبل أن تتمكن من أن تخطو خطوة واحدة، ثم تابع يقول:

ـ أرجو أن تتابعي عملك وتتجاهلي وجودي كلياً.

أجابته فيما أخذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة كبيرة:

ـ من الصعب علي القيام بذلك لأنك تجعلني أشعر بحضورك

بشكل قوي.

ـ لا تنسي أنها شقتي وأنت من دخل إليها من دون استئذان.

ـ ولكن السيدة فيغيس دعتني للدخول.

ـ وهل كان أمامها خيار آخر؟.

وإذ لزمت الصمت تابع يقول:

ـ إن أردت البحث عنه فعليك الإسراع.. ولكن إن انتهيت من تفتيش غرفتي فأرجو أن تعذريني لأنني أريد أن أبدل ملابسي.

وأفلت معصمها في الحال، وخلع سترته وألقاها جانباً.. وبعد أن أفرغ جيوب سرواله، وضع محفظته ومفاتيحه على المنضدة وبدأ يفك أزرار قميصه.. وحين همّ بإخراجه من تحت سرواله لاحظ أنها تسمرت في مكانها تتفرس فيه.

فقال لها:

ـ يمكنك البقاء إن شئت لتتفرجي علي، ولكن سبق ولمّحت إلي أنك لن تري شيئاً جديداً.

لم تخطىء صوفي القول حين نعتت ريتشارد مالوري بالسافل..

كانت جيني تتظاهر بالبحث عن فأرها بين رفوف الكتب السفلية وهي تحاول أن تجد سبيلاً لقلب الموازين لصالحها.

صحيح أن ظهور مالوري المفاجىء كان أسوأ كابوس عرفته في حياتها، لكن عناقه لها ليس بكارثة كبيرة.. وبضع ياردات فقط تفصلها عن المفاتيح التي تركها على المنضدة.

جلّ ما عليها أن تفعله هو العودة إلى الغرفة.

لم تستطع أن تتصور في تلك اللحظة الطريقة الملائمة لمعالجة الموضوع، إلاّ أنها عازمة على ألا تستسلم، مهما كلف الأمر، لأن المسألة لم تعد تقتصر على إنقاذ صوفي من ورطتها بل أصبحت شخصية.

يا له من إنسان متعجرف يخال أن نظرة واحدة منه تكفي لترتمي بين أحضانه. . . ! حتى وإن كان ذلك صحيحاً فهي لم تفعل شيئاً لتنتشله من أوهامه هذه! .

أعادت جيني الكتب إلى مكانها محنية الرأس وقد خطر لها أنه لم يكن الوحيد الذي أساء التصرف! فهي لم ترد له الاساءة ولم تسأله حتى عما يحسب نفسه فاعلاً أو تصفعه على وجهه أو تصده مظهرة عدم اهتمامها بالأمر! .

على أيّ حال، كان ريتشارد مالوري يثبت أنه على مستوى الشائعات، ولا يفترض بها أن تتوقع منه تصرفاً أفضل.

لعلها تفاجأت به يغازل فتاة مثلها، لا ترتدي ملابس مثيرة أو تشجعه على التودد إليها، أو تملك حتى جورباً حريرياً أسود.

وقفت جيني على قدميها وقد أدركت في سرها أنه أراد حتماً أن يعيش تجربة جديدة، لم يعرف لها مثيلاً من قبل. .

طردت هذه الأفكار من رأسها وإذا بالحقيقة تتجلى أمام عينيها. . فهي بنظره فتاة مسكينة، لم يتودد إليها أحد من قبل، ورأى أن يسدي إليها خدمة تندرج في نطاق أعماله الخيرية! .

يا للأسف! إنه يفتقر حقاً للأفكار المبتكرة! ولكن قلما تكترث لرأيه فيها. . فهدفها الوحيد هو العثور على القرص وإنقاذ صوفي من ورطتها. . ولن تتوانى أبداً عن القيام بذلك.

كانت جيني تعلم أنها لن تشعر بنشوة الانتصار إلا إن تمكنت من استغفاله وبقيت في عينيه إنسانة بسيطة بلهاء تحب تربية الحيوانات الأليفة.

رسمت على شفتيها ابتسامة تصر، في محاولة منها لتتمرن عليها وإذا بريتشارد مالوري يظهر فجأة عند عتبة الباب وقد ارتدى سروالاً من الجينز وقميصاً قطنياً. . وكم كانت بهجتها عظيمة حين لاحظت أن

حيويه فارغة.

لم يعلق ريتشارد على تكشيرها كالبلهاء واكتفى بسؤالها وكأنه كان يتمنى لو انصرفت:

- هل حالفك الحظ؟ .

صحيح أنه تمكن في المرة السابقة من إخافتها، لكن من المعروف عنها أنها تتعلم من أخطائها:

- ليس بعد. . ولكن أتظنه قادراً على صعود السلم اللولبي؟ .

- لست أدري. . فأنت أخبر بالأمر.

ثم توجه إلى السلم وتابع يقول:

- سأعد القهوة. . أتريدين كوباً؟ .

- شكراً لك. . إنها فكرة ممتازة.

- رافقيني إذن إلى الأسفل.

ورماها بنظرة عاجلة قبل أن يسألها:

- أتريدينني أن أساعدك في تفتيش الرفوف العلوية؟ .

- لا شكراً! . . . بصراحة لم أعد أعلم أين عليّ أن أبحث عنه.

أرادت أن تحثه على النزول إلى الطابق السفلي فأخذت تنظر حولها فسألها بنبرة لم تخلُ من بعض الفضول:

- هل أضعت شيئاً؟ .

دفعت حقيبة يدها تحت الكرسي وأجابت تقول:

- حقيبة يدي. . أظن أنني تركتها في. .

- غرفتي؟ .

ساد الصمت لبعض الوقت. . إلا أنه ما لبث أن خرقه ليقول لها بنبرة حادة:

- حسناً. . ما الذي تنتظرينه؟ اذهبي واجلبيها. . سأنتظرك هنا. .

أبت جيني أن تظهر له حماستها فأجابته:

- لا أريدك أن تسيء فهمي.

- أتريدينني أن أجلبها لك؟.

- كلا. سأحضرها بنفسي. انتظرني هنا. اتفقنا؟.

هز كتفيه بلا مبالاة، فيما كانت جيني تحاول أن تأخذ وقتها وهي تشعر بعينيه المسلطتين عليها تحرقان بشرتها. ولكن ما إن غاب عن مرآها حتى تسللت إلى حجرة ملابسه وسرقت المفاتيح عن المنضدة، مدركة تماماً أنه لا يستطيع رؤيتها من حيث يقف.

عند عودتها وجدته واقفاً في مكانه ينتظرها، فهتفت كالحمقاء قائلة وهي تلتقط حقيبتها من تحت الكرسي:

- ها هي! أظن أنني سأفقد صوابي يوماً ما!

لا شك أنه يخالها فتاة بلهاء، وقد يكون محقاً في ذلك.

- يبدو أن القارض الصغير هو الوحيد المفقود حالياً... لمَ لا تلقين نظرة في المطبخ فيما أعد القهوة؟.

- أتعتقد أنه قد ينجو من يدي السيدة فيغيس؟.

أين تراها السيدة فيغيس؟.

- لقد انصرفت. وهو الآن في أمان!.

- آه!.

وإذ خشيت أن يخالها منزعجة من وجودها وحدها معه قالت له:

- شاهدت مطبخك هذا الصباح وأعجبتني كثيراً الأدوات المطبخية.

- إنها الأفضل ولا أستعملها إلا للعرض.

تجاهلت محاولاته الحثيثة لإزعاجها وقد أدركت أنها ستؤدي بها إلى نقطة اللاعودة ثم سألته بعفوية:

- ألا تطبخ؟

- عند الضرورة القصوى فقط.

- هذا مؤسف...

- النساء يكثرن الانتقاد. أظنك طباخة ماهرة.

وتنحى جانباً لتتمكن من الدخول إلى المطبخ.

- وربة منزل من الطراز الأول.

- أبداً! الحياة قصيرة جداً لهدرها.

- حقاً؟ ولكنني أظن أن على المرء أن يجرّب معظم الأشياء مرة على الأقل.

- لكن على خلاف معظم الرجال، تضطر النساء لبذل بعض الجهد لتحضير الطعام... فما من رجل يرضى بتحضير الطعام لهن.

- ملاحظتك هذه لا تخلو من التمييز الجنسي. لذا إن رغبت يوماً في سندويش بيض مقلي، ما عليك سوى أن تتفوهي بالكلمة السحرية.

- وما هي هذه الكلمة؟.

- لديك ثلاثة احتمالات.

- وإن أخطأت في التخمين؟.

- تعدين لي سندويش بيض مقلي.

هذا ليس عدلاً.. كيف استطاع أن يجعلها تضحك؟ ولحسن حظها، استدار فجأة إلى الحوض ليملأ الغلاية ماءً وقال:

- لا تهتمي لأمري وخذي راحتك.

وانهمك بإخراج القهوة من البراد الحديث الطراز، فيما أخذت جيني تجول في المطبخ وتفتح الأبواب متظاهرة بالبحث عن هيكتور، ومستمتعة بفرصة التطفل على أوعيته غير المستعملة وأدواته الكهربائية العالية التقنية، التي تحلم كل طباخة ماهرة بالحصول عليها.

وتمنت في قرارة نفسها لو أنه يعيرها خلاط الطعام الكهربائي الذي سال لعابها عند رؤيته..

ولكن ما الذي تفعله؟ لما تضيع الوقت سدى؟ عليها أن تعثر على

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

القرص وتغادر هذا المكان من دون عودة.

أحست فجأة بثقل الصمت الذي ساد بينهما في حين وقف ريتشارد ينتظر الماء ليغلي وعيناه تتأملانها.

ولكن ما السبيل إلى إلهائه لتتمكن من الدخول إلى مكتبه وفتح درجه بالمفاتيح التي سرقتها؟.

فتحت باب الخزانة تحت الحوض فوجدت جواباً سريعاً لتساؤلاتها فصرخت مذهولة:

ـ يا إلهي!

كم مرة حظيت بهذا النوع من العون الإلهي؟.

* * *

٤ ـ ستذوق الأمرّين

سألها مالوري: «هل من مشكلة؟».

أقحمت جيني رأسها داخل الخزانة لتلقي نظرة عليها، مماطلة في الرد عليه:

ـ ربما.

كان التزامه الصمت خير دليل على إصغائه إلى كلامها باهتمام، فأخرجت رأسها من الخزانة ورفعت عينيها إليه قائلة:

ـ لا أظنك تستطيع أن تحشر نفسك هنا، أليس كذلك؟.

بدت إمارات التردد على وجه ريتش.. فللحظات خلت كان يراقب تصرفاتها في المطبخ، منتظراً خطوتها التالية.. ويبدو أنها قررت ألا تدعه ينتظر طويلاً.

ـ أين؟.

ـ ثمة حفرة...

ـ حفرة؟.

ـ حسناً إنها أشبه بفوهة..

أخذ نفساً عميقاً وهو يسكب القهوة في الإبريق، ويصب فوقها الماء المغلي، ثم حبا بقربها دافعاً كتفها برفق:

ـ دعيني أرى.

أشارت بصمت إلى الأنبوب الممتد من الحوض نحو ماسورة

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

الصرف مخترقاً أرضية الخزانة، فانحنى ريتش إلى الأمام ليتمكن من تفحصه بشكل أفضل، وهو يبذل جهداً بالغاً ليتجاهل خصلات شعرها التي كانت تلفح وجهه.

وتبين له أن المسافة الفاصلة بين الأنبوب والحائط تكفي لتشق الفئران طريقها إلى الأسفل..

غير أنه لم يستطع أن يستشف غايتها من قلب مطبخه رأساً على عقب بحثاً عن صديقها الخيالي.. إلا إن كانت تقول الحقيقة منذ البداية، وهو إنسان ساخر سيء الطبع، يشك دوماً بدوافع خفية.

نظر ريتش إليها بطرف عينه وأدرك أنه يتمنى بشدة أن يصدق كلامها.

فعلى الرغم من اكتشافه خداعها له، وجد نفسه يتجاوب معها، مبتسماً ابتسامة عريضة كأنه غلام اكتشف لتوه أن الفتيات لسن جميعاً خبيثات، من مجرد عناق بريء.. بريء؟ من يحاول أن يخدع؟ فأفكاره بعيدة كل البعد عن البراءة.. أما هي...

طرد هذه الصورة من رأسه والتفت إليها قائلاً:

ـ أرجوك قولي لي إنك تمزحين... أتعتقدين حقاً أن هيكتور قد يكون في الأسفل؟.

أدركت جيني أنها تخطت الحدود، وبدأ ضميرها يطلق صفارات الإنذار يحذرها من مغبة ما تفعله، وكأنها لا تعي ذلك. لكن ماذا عنه؟ لقد عانقها.. ليس لأنها حسناء هيفاء القامة، يشتهيها بكل جوارحه، ويسعى لنيل رضاها بدعوتها على العشاء في مطعم فاخر بل لأن غروره يوحي له بأن سحره لا يقاوم..

وكيف كانت ردة فعله عندما فاجأته بتجاوبها معه بحماسة.. وكأنه لم يكن يتوقع تصرفاً مماثلاً من قبلها؟ أجفل مبتعداً وكأنه أرنب أخذه ثعلب على حين غرة.

أتراه يعلم أن الفتيات القصيرات القامة، المتوسطات الجمال، يستأهلن أيضاً بعض الاحترام بدلاً من أن يدير لهنّ ظهره ويفر هارباً؟.

لن تدعه يفلت بفعلته تلك من دون عقاب.. لذا، عليها أن تجد شيئاً يلهيه أطول وقت ممكن، لتتمكن من إحضار القرص والفرار من هذا المكان.

وعلى الرغم من خوفها من أن يقض عذاب ضميرها مضجعها لاحقاً، إلاّ أنها عقدت أصابعها وهي ترفع رأسها لتشتبك عيناها بتلك العينين الزرقاوين الخطيرتين وقالت له:

ـ اختبأ هيكتور مرة تحت بلاط غرفتي.

ـ هنا؟.

ـ لا.. لا.. ليس هنا.. فالبلاط ليس متزعزعاً في شقة ماكبرايد.

عقد حاجبيه استغراباً فاستطردت تقول:

ـ حدث ذلك في حرم الجامعة.

صحيح أن هذه الحادثة واقعية، لكنها لم تكن هي والهامستر الخيالي هيكتور بطليها؛ فهذا الأخير بدأ يأخذ بعداً بطولياً وخشيت أن تكتشف في نهاية المطاف أن ريتشارد مالوري هو آشيل المنتظر.

ـ المباني قديمة جداً في الجامعة، والبلاط كله متزعزع.

حدق ريتشارد مالوري إليها لبعض الوقت وتعابير وجهه تتأرجح ما بين الاشمئزاز والإنكار.. ثم قال كلمة واحدة موجزة اختصرت كل ما يجول في رأسه من أفكار، وأبعد محتويات الخزانة كلها ليتمكن من إلقاء نظرة عن كثب.

سألته جيني وهي تتأمل الأرضية البيضاء الملساء:

ـ ما الذي سنفعله الآن؟.

ـ أظن أننا سنحتاج إلى شخص خبير في هذه الأمور.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

لا! لا بد أنه يمزح! لكنه يبدو جاداً في كلامه! فهذا الرجل جمع المليون الأول من ثروته، وهو في عقده الثاني. ولا تخاله واجه أي صعوبة في نقل هذا المطبخ المجهز بأحدث الأدوات إلى شقته، أو في تكليف حرفيين من الطراز الأول بجمعه، مقابل مبلغ كبير من المال.

وقعت جيني في حيرة من أمرها؛ هل تنصحه بأن ينتزع الجزء السفلي من قاعدة العمود ليصل إلى المساحة الواقعة تحت الخزانة، حيث يمكن للهامستر أن يختبىء؟.

كلا.. لن تقول له شيئاً. ليس الآن. وإلاّ سيتهمها بالفظاظة...

صحيح أنه لم ينزعج حين قالت إن الرجل مثير للشفقة لأنه لا يجيد الطبخ، علماً أن معظم الرجال يتباهون بذلك، ولكنها لا تستطيع أن تحرجه علناً في ما يتعلق بالقدرات الذكورية التقليدية. سيكون الأمر أشبه بتصليح سيارة معطلة، فيما هو يحاول الاتصال بأقرب مرآب.

ارتأت في نهاية المطاف أن تدع البواب ينقل إليه هذه الأخبار الجيدة. وهبت واقفة تاركة رينش يتأمل مكان الخلل.

سألته جيني وهي تصب القهوة التي أعدها في الكوب: «أتريد حليباً؟».

هز رأسه نفياً، فتدلت إحدى خصلات شعره على جبينه.

ـ أتريد سكراً؟.

هز رأسه نفياً من جديد وإذا بالخصلة الجامحة تتدلى أكثر فأكثر، فودت لو تبعدها إلى الخلف لكنها سيطرت على أصابعها... ترى ما الذي يجعلها تتلهف للمس هذا الرجل؟ أهو سحره المغناطيسي الأشبة بالجاذبية، تلك القوة التي لا تقاوم.. لا بد أنه يترك الأثر عينه في نفوس النساء كلهن لأن عدد اللواتي واعدنه لا يحصى!.

لقد سمحت له بأن يعانقها فشعرت بالشوق في أحشائها ووهنت ركبتاها بصورة يرثى لها..

ولعل الفرق الوحيد الذي يميزها عن النساء الأخريات هو أنها كرهت ذلك... نظرياً...

لكن الحق يقال إن عناقه مذهل لكنها كرهت ضعفها وفقدانها السيطرة على نفسها، وكأنها بيدق على رقعة الشطرنج الخاصة به.

ولكن البيدق الذكي يتبع دوماً استراتيجية مدروسة ليفوز باللعبة.. فقالت له برقة:

ـ لعل البواب يستطيع مساعدتنا.. هل أنزل لمناداته؟.

أرادت أن تبتعد عنه لبعض الوقت لتجمع شتات أفكارها.. وبعد أن يصعد البواب ويعملا سوياً على حل المعضلة، سينسيان الأمر كلياً، ولا يطلبان منها المساعدة إلا لتحضير القهوة أو الشاي، مما يجعلها حرة لإنجاز مهمتها التي لن تأخذ منها وقتاً طويلاً طالما أن المفاتيح بحوزتها.

أحست بقشعريرة تسري في جسمها وهي تكاد لا تصدق بأن المسألة بهذه السهولة.

نهض رينش عن الأرض وأخذ منها فنجان القهوة قائلاً:

ـ سأتحدث إليه بنفسي.

ـ ممتاز! إنه الحل الأفضل!.

ـ ما رأيك لو تحاولين، خلال هذا الوقت أن تغريه بالطعام؟.

ـ ماذا؟.

ـ ما رأيك؟.

إنها أسوأ فكرة سمعتها على الإطلاق، ولكنها لم تستطع أن تجد رداً سريعاً ينقذها من ورطتها من دون أن يثير استغرابه.

ـ أتريدين الذهاب لإحضار الطعام؟.

تبخرت آمالها كلها بلمح البصر.. أين يمكنها أن تجد متجراً للحيوانات الأليفة؟ أتراه لا يزال...؟.

ولكن الحقيقة ما لبثت أن تجلّت لها. . فهو لا يطلب منها الذهاب إلى المتجر بل إلى الشقة المجاورة، حيث من المفترض بها أن تحتفظ بطعام للهامستر.

صحيح أن هيكتور اكتسب منزلة الحيوان الأسطوري، إلا أنها لم تبلغ بعد مرحلة شراء أكياس كبيرة من الطعام له. ولكن إن استمر هذا الوضع وقتاً أطول مما ينبغي، فلا أحد يعلم ما قد تقدم عليه.

سألته بغباء:

- أتظن أن الطعام قد يحثه على الخروج من مخبئه؟.

وحده الإنسان الأبله يطرح سؤالاً مماثلاً غير أنها كانت تحاول أن تكسب بعض الوقت لتطرد الغشاوة التي غلفت ذهنها. ففيما كانت تتذكر الأحاسيس الجياشة التي اكتسحتها عند عناقه لها، تشتت تفكيرها وعليها أن تستجمع قواها بسرعة.

- نادراً ما يقوى أحدنا على مقاومة الإغراء.

وتساءلت جيني في سرها، وهي تتأمله متكئاً إلى الخزانة، وفنجان القهوة في يديه، عما يخفيه تحت هذين الجفنين المثقلين.

- ماذا يأكل الهامستر؟.

وإذ لم تجاوبه على الفور، ألقى نظرة عجلى عليها، مقطباً جبينه استهجاناً!.

اللعنة! ليته لا ينظر إليها بهذه الطريقة وكأنه يقرأ كل خاطرة تجول في رأسها!.

- كل ما يضعونه في علبة كتب عليها «طعام للهامستر».

لم تستطع جيني أن تأتي بجواب أفضل، غير أنها ما لبثت أن أضافت:

- أعترف بأنني لم أتكبد يوماً عناء قراءة لائحة المكونات.

لم تكن تكذب هذه المرة فهي لم تقرأ يوماً لائحة المكونات على

علب أطعمة الحيوانات. ولسوء الحظ لم تقع يوماً على علبة طعام للهامستر؛ فخطرت لها في تلك اللحظة فكرة، وجدت فيها وسيلة لإنقاذها من هذه الورطة:

- في الواقع، أظنه يستجيب بصورة أفضل للتحلية.

- أليست هذه حالنا جميعاً؟ إنني متلهف لمعرفة ما يفضله هيكتور. . . ربما الشوكولا؟.

وقفت جيني مذهولة. هذا الأمر لا يتطلب هذا التفكير كله.

- لم أقدم له الشوكولا من قبل، وأخشى أن تؤذيه. . . ما رأيك بحبة عنب؟.

وإذ ساد صمت ثقيل بينهما، صمت أثار الذكريات، أسرعت تقول:

- أو ربما حبة زبيب؟.

- كما تشائين!.

- المعذرة؟.

- إنني على استعداد لكي أجرب كل ما تقترحينه، شرط ألا أضطر لقلب مطبخي رأساً على عقب.

وعلى الرغم من أنها وجدت الفكرة مغرية، إلا أنها عجزت عن تركه يفعل ذلك.

- إياك أن تقدم على أي تصرف قد تندم عليه!.

- أشكرك على هذه النصيحة. . . فلما نستعمل مطرقة ثقيلة في حين أن حبة بندق قد تحل المشكلة؟.

وافقته الرأي قائلة:

- أظن أن حبة البندق تفي بالغرض!.

- جلّ ما علينا أن نفعله هو أن نضع طعماً لا يستطيع مقاومته في الخزانة، فيقع أسيراً في راحة يدك.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

كان ربتش يأسرها بسحر عينيه، ورائحة جسده الذي ينبض رجولة، فأحست بقشعريرة تسري من أعلى رأسه حتى أخمص رجليها، قشعريرة جعلتها عاجزة عن التركيز على ما يقوله.

عليها أن تتحرك بسرعة وتشيح بنظرها بعيداً عنه وإلا انهارت واعترفت له بكل شيء.

ـ فكرة جيدة!.

استدارت على عجل، ومدت يدها تفتح إحدى الخزائن العلوية، فإذا بها تجدها فارغة من المواد الأساسية.

رمته بنظرة خاطفة وسألته:

ـ أين تحتفظ بالفواكه المجففة؟.

ابتسم لها ابتسامة ملتوية وأجابها قائلاً:

ـ سبق وقلت لك إنني لا أحتاج إليها يا جيني.

ـ ماذا عن العنب؟ أظنك تحتفظ بالكثير منه لتقدمه للفاتنات اللواتي يزرنك!.

من السهل عليها الادعاء بأنها قادرة على النظر في عيني هذا الرجل والتفوه بالأكاذيب. . . ولكن التنفيذ لم يكن بهذه السهولة. . . انتابها شعور غريب بأنه يتلاعب بها، وبأنها ليست بالذكاء الذي تدّعيه. بدا وكأنه يعي تماماً ما ترمي إليه.

هراء. . . كيف يعقل ذلك؟.

لا شك أن ضميرها يحاول أن يصعب عليها الأمور، وهي لا تنكر أبداً بأنه سيجعلها تذوق الأمرّين، عاجلاً أم آجلاً. . . ولكنها تمنت لو يرجىء ذلك إلى وقت لاحق.

ـ أنا لا أطعم الفاتنات العنب. . . ومن جهتي أفضّل شيئاً أقضمه.

وفتح باب البراد، ثم التفت إليها وفي يده تفاحة حمراء، فخيل إليها بأنه يحاول إغواءها.

ـ ما رأي هيكتور بالتفاح؟.

ـ إنه يعشقه.

ومدّت يدها لتأخذ التفاحة منه، إلا أنه قبض على معصمها بيده الأخرى وقال:

ـ لا أريدك أن تجازفي يا جيني.

كان صوته ناعماً ولكن كلماته أقرب إلى التهديد منها إلى القلق على سلامتها الشخصية.

ـ لا أريدك أن تصابي بالأذى.

ـ الأذى؟

ـ السكاكين حادة جداً.

وأفلت فجأة معصمها وابتعد عنها ليجلب سكيناً من أحد الأدراج. ثم قطّع التفاحة، ووضع قطعة منها في الخزانة وأغلق بابها قائلاً:

ـ علينا أن ننتظر.

وقفت جيني تفرك معصمها وكأنها تريد أن تزيل آثار أصابعه عنها. . يا لغبائها! كانت على وشك أن تحقق مرادها ولكن الكرة اختطفت من بين يديها، لأنها أبت أن تزرع الفوضى في مطبخ مالوري. نسيت أنه ثري للغاية ويمكنه أن يصلح ما تفسده بماله الوفير. . أو حتى أن يجدد الديكور برمته.

ألم تسمع رجال السياسة يرددون دوماً أن صرف المال يساعد على تسريع دوران العجلة الاقتصادية؟.

سألته بعد حين:

ـ كم من الوقت علينا أن ننتظر؟.

ـ ما يكفي من الوقت لنأكل شيئاً.

ثم قضم التفاحة وأضاف:

ـ أشعر بالجوع وأنت كـ. . .

أجابته بحدة: «لست جائعة بما فيه الكفاية لأتذوق سندويش البيض المقلي الشهير الذي تعده بنفسك!».

ـ لست فخوراً بذلك.. أحضرت معي اللحم المقدد. ويمكنك أن تعدي البيض بنفسك.

أحست بالإهانة فقالت له ساخطة:

ـ لا أظنك ستتصرف كإنسان الكهف وتستلقي مسترخياً وتتركني أعد لك الطعام.

كشر ريتش استهزاءً وأجابها:

ـ تجدين شرائح لحم البقر في الثلاجة.

وعندما بدت تعابير الاستهجان جلية على وجهها أضاف:

ـ لعلك محقة. سأسترخي قليلاً لأن أعمالاً كثيرة تنتظرني.

ممتاز! كيف ستتمكن عندئذ من الدخول إلى المكتب؟ والأسوأ أنه سيحتاج إلى مفاتيحه!.

ـ الأعمال!.

قالت ذلك بنبرة حزينة وهي تحاول أن تجد سبيلاً للتراجع عن موقفها الداعي للمساواة بين الجنسين.

ـ تعلمين جيداً أن أعمال رجل الكهف لا تنتهي أبداً.. عليه أن يشحذ الرماح، ويصنع رؤوساً للأسهم..

أتراه يمزح؟ لكن عينيه تقولان إنه جاد في كلامه... فضحكت ضحكة خافتة، خلت من الرنين الذي تتميز به ضحكة صوفي. وعندما رفع حاجبيه استخفافاً، قالت له وقد عقدت العزم على أن تتمرن في منزلها على إطلاق ضحكات رنانة، لتتمكن من استغلال هذه المواهب عند الحاجة:

ـ لا.. لا تفعل ذلك.. آسفة.. علي ألا أطالب بالمساواة بين الجنسين إلا أمام من يستأهل ذلك... فأنت...

ماذا تراها تقول له؟ أنت لطيف، أو حريص على مراعاة مشاعر الآخرين؟.

ـ فأنت متعاطف جداً معي و...

علقت الكلمات في حلقها ولم تعد قادرة على المضي في حديثها، إلا أنها أرغمت نفسها على الاستطراد قائلة:

ـ اذهب وخذ قسطاً من الراحة.

كانت تتكلم بصدق شديد.

ـ بصراحة، يسعدني أن تتركني أتصرف على سجيتي في مطبخك.

أثارت علامات الذهول البادية على وجهه اضطرابها. فتحت باب الثلاجة، فخفف الهواء البارد من حدة توهج خديها.

ـ ثمة مشكلة صغيرة.. لديك حليب وبيض..

وتابعت تقول وهي تفتح علبة البيض:

ـ بيضة واحدة وبعض التفاح.. يبدو أنك نسيت أن تجلب اللحم المقدد، وشرائح اللحم البقري.

ـ اختفت جميعها.

اقترب منها وانحنى قليلاً إلى الأمام ليفتح الدرج المخصص للحمة.. فخيل إليها أنه يعرف تمام المعرفة أن ثلاجته تخلو إلا من الهواء.

ـ لا يجد الصياد وقتاً للراحة.. ضعي لائحة بالحاجيات وسأذهب لشرائها من المتجر المجاور.

أرغم ريتشارد نفسه على الابتسام... صحيح أنه يستمتع بنقاشهما المثير، لكنه أحس فجأة بثقل في صدره.. فعلى الرغم من أنه نصب لها الفخ بيديه هاتين، إلا أنه لم يفقد الأمل في أن تتمكن من تجنب الوقوع فيه... ليتها تصغي إلى تحذيراته، التي لا يغفل عنها شخص يضمر الأذى مثلها، وتتراجع عن خطتها، مستسلمة لهزيمتها بروح

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

رياضية!

لا شك أنه فقد صوابه ليتيح لها هذه الفرصة. . لكنه لم يجد أمامه خياراً آخر سوى أن يمد لها الحبل لتقوده إلى الشخص الذي حرضها على هذه المغامرة الدنيئة.

فبعد عشر سنوات من المنافسة الضارية، في ميدان عمله، اصطبغت مشاعره بالغشاوة. . إلا أن جيني حركت فيه شيئاً، ظن أنه دفنه في مكان عميق بعيداً عن عينيها الساحرتين. . . حركت قلبه الميت، فشرع أبوابه المقفلة منذ زمن طويل، آملاً أن تكون بريئة بقدر ما يبدو عليها فيعثر على مفاتيحه في مكانها على المنضدة.

كيف له أن يصدق ذلك بعد أن شاهدها بأم عينه تدفع حقيبة يدها تحت الكرسي، متذرعة بحجة واهية للعودة إلى غرفته؟ فمنذ الصباح وهي تبحث عن المفاتيح في أرجاء غرفته. .

وكم كانت خيبة أملها كبيرة حين أمسكت بذلك القرط، الذي من الصعب أن تمزج بينه وبين الهامستر المزعوم!.

وكم كان اضطرابها عظيماً حين فاجأها في حجرة ملابسه، وقد انتابتها حالة عصبية لا تحسد عليها، حالة تؤكد بأنها ليست لصة محترفة!.

قال لها فجأة قبل أن تتاح لها الفرصة لتعد لائحة بالحاجيات التي تلزمها بغية إبعاده عن الشقة:

ـ في الواقع، كنت محقة من البداية. . فليس من اللائق أن أدعوك للعشاء وأطلب منك أن تعدّيه بنفسك.

صحيح أنه كان يلعب دور الأحمق أمامها، لكنه سيعطيها فرصة جديدة لتغير رأيها:

ـ علاوة على ذلك، أظن أن هيكتور سيظهر في أي لحظة. . ويستحسن أن نطلب طعاماً جاهزاً.

ـ لا داعي لذلك. . لدي صينية لازانيا في الثلاجة.

ـ حقاً؟.

وقع رينش في حيرة من أمره. . أليس من المفترض بها أن تبعده عن طريقها؟.

ـ قالت أمي إنها ستمر لزيارتي هذا المساء.

ـ أهي طالبة كلية الأدب الكلاسيكي عينها؟.

ـ ليس لدي إلا أم واحدة.

ـ طبعاً. . وماذا عن والدك؟.

كان يريد أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنها، ليتمكن من تحديد سبب قيامها بذلك.

ـ ليس لدي أب.

ـ آسف. . .

وندم في قرارة نفسه على طرحه هذا السؤال، وكأن مشاكله الحالية لا تكفيه ليضيف إلى المعادلة تعاطفه معها.

ـ لا عليك. . باتت ظاهرة الأم الوحيدة رائجة في هذه الأيام. . ولكن أمي سبقت عصرها.

بدا لها أنه استهجن الأمر، ولكنها رفعت حاجبيها تتحداه أن يعارضها.

ـ إذن؟ هل سنجازف وتتناول اللازانيا؟.

ـ ولِمَ لا؟.

فبعد كل المجازفات التي عرفها خلال النهار لن يزيد طبيخها من مآسيه. .

ـ فالمجازفة تضفي على الحياة القليل من الرونق.

ـ سأذهب لجلبها!.

ـ ماذا لو جاءت والدتك عند المساء؟.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

- لا أظنها ستفعل. . . فهي في لندن تلقي محاضرة عن بعض القضايا النسائية. . وأظنها ستقضي ساعات طويلة تتكلم، محاولة أن تعيد بناء العالم من جديد.

- وتطالب بحقوق النساء؟.

- ينبغي على أحدهم القيام بذلك. . ولكن إن فاجأتني بزيارتها فسأعد لها شيئاً خفيفاً.

كانت كلماتها تحمل بين طياتها إحساساً بالألم، إحساساً جعله متلهفاً لسبر أغوار ماضيها، ورفع النقاب عن خفاياه.

- كم أنت عملية! هل تحتاجين للمساعدة؟.

- كلا! بمكنني أن أحمل الصينية من شقتي إلى هنا. . ولكنني أفكر بأن أعد طبقاً من السلطة، مع صلصة لذيذة. . ولكن. . .

- ماذا؟.

- أحتاج إلى ليمون حامض للصلصة. . ولا أظن. . .

للحظات خلت، خيل إليه أنه أساء الحكم عليها، حين شك بنواياها البريئة، غير أنها تتلاعب بعواطفه ولا تستحق أبداً عطفه؛ فقال لها وهو يعرف ردها مسبقاً:

- إن لم تعثري في البراد على حامض، فذلك يعني أنه نفد من عندي.

نظرت إليه وقد علت الحمرة خديها وأخذت أنفاسها تتسارع:

- عليك أن تذهب إلى المتجر لشراء بعضٍ منه، لو سمحت.

- بمكنني أن أفعل ذلك.

بذل ريتش جهداً بالغاً ليكبح نيران غضبه، وهو يعي تماماً ما تحاول أن تفعله.

- أتريدين شيئاً آخر؟.

- ربما القليل من الزيتون الأسود، والخبز المحمص.

- حسناً. . لن أغيب طويلاً.

- لا داعي للعجلة. . فاللازانيا تحتاج إلى نصف ساعة في الفرن على الأقل!.

تملكته رغبة جامحة بأن يمسك بها ويهزها بعنف، لتدرك أنه ليس مغفلاً إلى هذا الحد. . إلا أنه قال لها بنبرة رقيقة:

- بمكننا أن نتناول الطعام في الحديقة.

- فكرة رائعة. . فأنا أحب حديقتك كثيراً. . إذ لا حشرات فيها ولا أعشاب ضارة.

- لا يخلو الأمر من بعض الأشياء الضارة.

حملت جيني صينية اللازانيا إلى شقة مالوري، وأسرعت تضعها في الفرن وتشعل النار تحتها، لتتمكن من إنجاز مهمتها قبل عودته.

لم يجد ريتشارد شيئاً يستوجب العجلة. . فاشترى الزيتون الأسود، والخبز المحمص فضلاً عن القليل من الفريز والكريما المخفوقة؛ إذ يحق للمحكوم عليه أن يطالب بوجبة كاملة.

لقد حاول، وبذل قصارى جهده لتضليلها لئلا يقول لها صراحة إنه على علم بنواياها. كان بوسعه أن يماطلها أكثر ويرفض مغادرة شقته، مدعياً أن المعكرونة على أنواعها تثير قرفه، ومصراً عليها لتذهب وتشتري لهما طعاماً جاهزاً.

بدت الفكرة مغرية عند الصباح؛ إذ لم يكن عليه سوى أن يلهيها متظاهراً بوقوعه ضحية خداعها، ليتمكن بعدئذ من استغلالها ليكشف هوية محرضها.

لكن عناقهما ولّد في أحشائه مشاعر جامحة، وبات عاجزاً عن تنفيذ خطته، ويخشى أن يطارده طيف عينيها الخضراوين إلى الأبد.

ليته وضع لها حداً منذ البداية، ومنعها بشكل قاطع من الاقتراب من أقراصه!. . لكن توقه الشديد لمعرفة الشخص الذي أرسل جيني

للقيام بهذا العمل القذر كان أقوى من أيّ شيء.

فتحت جيني الدرج، لتجد نفسها أمام مجموعة من الأقراص، يحمل كل واحد منها ملصقاً يحدد محتوياته.

لو كانت تضمر الشر، لشعرت بالامتنان الشديد له، لإلصاقه بطاقة تعريف على برامجه التجريبية... فقد كانت تتوقع منه أن يلصق عليها بطاقات غير مفهومة، توخياً للحذر.. ألم تقل لها صوفي إنه مهووس بالإجراءات الأمنية؟.

أدخلت جيني القرص في حاسوبها لتنسخه، ثم دخلت إلى المطبخ لتخرج الخضار من البراد.. الخس.. الجرجير.. وإذا بها تقع على كيس من الليمون الحامض.. فخطر لها أن تدّعي أمامه أنها عثرت عليه لاحقاً، غير أنها حذرت نفسها من مغبة المبالغة.

وضعت الخضار في سلة، ثم عادت لتتأكد من أن عملية النسخ تمت؛ فأرسلت الملف إلى صوفي عبر البريد الإلكتروني وأسرعت إلى شقة مالوري لترجع القرص والمفاتيح إلى مكانها.

صحيح أن الأمر لم يتطلب منها جهداً كبيراً، ولكن عليها الآن أن تمضي ما تبقى من ساعات المساء برفقته.

عند عودته، كانت صينية اللازانيا قد بدأت تنضج، وجيني منهمكة بتقطيع الخضار.

ـ أحسنت اختيار التوقيت.

أخذت جيني الليمون الحامض منه لتعصره فيما فتح ريتش زجاجة عصير مثلّج، وسكب كأساً له وأخرى لها، ثم خرج إلى الحديقة يتأمل منظر النهر الممتد تحت ناظريه، تاركاً جيني تنهي عملها في المطبخ.

ارتشفت جيني جرعة من العصير المثلج، عله يخفف من وطأة تشنجها بعد المخاطر التي مرت بها منذ الصباح... وخطر لها أن تنزع التفاحة من الخزانة لتوهمه بأن هيكتور ظهر، إلا أن عقلها نصحها بألاّ

تستعجل الأمور.

بدأت تخفق الصلصة... ما عليها سوى أن تتناول العشاء معه، لينتهي بعدئذ كل شيء؛ فصوفي أنقذت من ورطتها، ومالوري سيقصد (غلوسيسترشاير) ليستمتع بالساعات القليلة المتبقية له من عطلة نهاية الأسبوع..

ولكن ما سبب هذا الحزن الذي سيطر عليها؟.

ـ يا لها من رائحة ذكية!.

أجفلت جيني وكادت توقع الطبق على الأرض، فأسرعت تمسك به بيديها المرتجفتين، ونظرته المسلطة عليها تزيد من حدة ارتباكها.

أدرك المحنة التي تمر بها، فهبّ لإنقاذها، مثبتاً معصمها بيده، لئلا توقع الطبق أرضاً.

ـ لم أقصد إخافتك.

وملأ كأسها بالعصير المثلج، ووضعها في يدها، التي أحاطها بأصابعه ليتأكد من أنها لن توقعها.

ولكن محاولته اللطيفة تلك للتخفيف عنها، لم تجدِ نفعاً بل زادت الأمر سوءاً.

بقي ممسكاً بيدها وهو يقف على مقربة منها، وكأنه يحاول أن يحميها من نفسها؛ غير أن يدها بقيت ترتجف تحت أصابعه من دون أن تتمكن من ضبطها.

فالحق يقال إن أعصابها تلفت بعد أن قضت النهار بطوله، تحاول أن تلعب دور العميلة السرية.. لكن قلبها لم يكن يخفق بهذه السرعة، خوفاً من أن يقبض عليها بالجرم المشهود..

كلا.. إنه تأثير تينك العينين الزرقاوين.. عينان تصمان أذنيها عن الرسائل التي يبعثها عقلها، وتنسيانها عزمها على مقاومته، وتذيبان الجليد عن مشاعرها.

رفع كأسها قليلاً وأسندها إلى فمها، فوجدت نفسها أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن ترتشف العصير أو تتركه يسيل على ذقنها. . وارتأت، في نهاية المطاف، أن ترشفه عله يزودها ببعض الطاقة لتتمكن من الإمساك بكأسها وحدها.

ـ زال تشنج أعصابي. . . شكراً لك.

لم يحاول مالوري أن يجادلها لكنه رفع حاجبيه عالياً، موحياً لها بأنه يخالفها الرأي.

فاستجمعت قواها وهي تؤكد لنفسها بأن الأسوأ ولّى وبعد ساعة أو ساعتين ستتمكن من الاسترخاء.

ـ سيكون العشاء جاهزاً بعد عشر دقائق.

ـ أحضري نظاراتك وتعالي معي إلى الحديقة لتلقي نظرة عليها. . لا أظنك تأملتها ملياً خلال بحثك عن هيكتور. .

الحديقة. . . طبعاً. . إنه المكان الأكثر أماناً. . . فوافقته على الفور قائلة:

ـ فكرة جيدة.

لم تكن حديقته تشبه الحدائق الإنكليزية التقليدية بشيء؛ إذ خلت من الحافات التي تكسوها الأزهار المتعددة الألوان، والأحواض التي تعج بالنباتات المألوفة المفعمة بالحياة. فبدت باردة متكلفة، تفتقد إلى اللمسة الأنثوية.

لحقت جيني به عبر الجسر الصغير المؤدي إلى البركة، ووقفت قربه تتأمل أسماك الشبوط التي طافت على سطح الماء، ثم قالت:

ـ إنها جميلة وهادئة!

صحيح إنها جميلة وهادئة ولكنها ليست آمنة أبداً.

جالت جيني بعينيها في المكان متفادية النظر إليه، فلفتت انتباهها الفوضى التي زرعتها عند تسللها عبر سياج اللايدي ماكبرايد.

ـ لا بد أن الأوراق التي تتساقط من أشجار آل ماكبرايد في فصل الصيف تسبب لك الإزعاج.

ابتسم ريتش ساخراً وقد أدرك أنها تحاول أن تحصر حديثها معه بموضوع الحديقة.

ـ إنه سياج من البقس يا عزيزتي وأوراقه لا تتساقط عادة إلا إن تغلغلت فيه الفئران وأصحابها. .

ـ أظن أنني زرعت الفوضى.

ـ لا تقلقي. . . سأهتم بالأمر.

ـ قبل عودة آل ماكبرايد؟ يُفترض بي أن أعتني بالمنزل لا أن أخربه.

ـ كم ستطول رحلتهما؟

ثم رماها بنظرة خاطفة وأضاف:

ـ كم ستطول إقامتك هنا؟.

ـ حتى آخر شهر أيلول. . علي أن أعود إلى أوكسفورد قبل أن يبدأ الفصل الدراسي.

ـ قالت لي السيدة فيغيس إنك طالبة. . . اعذريني ولكن يبدو لي أنك. .

قاطعته قائلة:

ـ كبيرة في السن؟ إنني أتابع دراسات عليا للحصول على شهادة الدكتوراه. . كما ألقي بعض المحاضرات لأعيل نفسي.

كان يكفي أن تتفوه جيني بهذه الكلمات السحرية لتتوضح الأمور كلها أمام عينيه؛ فأقساط الجامعة مرتفعة، لذا فضلت أن تسرق برنامجه مقابل مبلغ كبير من المال، بدلاً من أن تعمل كبائعة في أحد المتاجر الكبرى.

ـ ما هو موضوع رسالة الدكتوراه؟.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

وقبل أن تتمكن جيني من الرد رن جرس الباب.

بدا الانزعاج واضحاً على وجه ريتش وخطر له ألا يفتح الباب، لأن حديث جيني لوتور يثير اهتمامه أكثر من أي شيء آخر. لكن جيني استغلت هذه الفرصة لتتهرب منه، فقالت له:

ـ سأذهب لأطفىء الفرن فيما تفتح أنت الباب.

لم تحسّن رؤية ليليان عند عتبة الباب مزاجه، ليليان التي ارتمت بين ذراعيه من دون دعوة قائلة:

ـ آسفة يا عزيزي.. لم أحسن التصرف مساء البارحة.. أعلم أنك كنت تعمل طوال الوقت، لكنني شعرت بخيبة الأمل.

ثم أسرعت تعانقه.

***

٥ ـ رجل تقليدي

تناهى صوت المرأة إلى مسمع جيني فعلمت في الحال أنها ليست السيدة فيفيس، التي قررت العودة لتتأكد من أن القوارض لم تجتح الشقة... كان الصوت رقيقاً ناعماً، ينبض بالإثارة، فلم تستطع أن تردع نفسها عن النظر من فتحة الباب. ولم تكد عيناها تقعان عليها حتى ارتدت إلى الوراء بسرعة، وفتحت باب الفرن ثانية، عازمة على إعطاء الانطباع بأنها في حالة تركيز قصوى، ولا يهمها الطارق.

بدا لها من الصعب أن ينتبه مالوري إلى وجودها، حتى وإن وقفت على مقربة منه، تنقر بقدمها على الأرض بعصبية، تريد أن تلفت انتباهه إلى أنه دعاها على العشاء.

فذراعاه التصقتا بتلك الصهباء الطويلة القامة، النحيلة، صاحبة الجوارب السوداء الحريرية، التي تسلب عقول الرجال بجمالها، في عناق طويل حمله على ما يبدو إلى عالم الخيال، فلم يعد يشعر بما يدور حوله.. عناق وضع عناقه لها تحت مجهار الحقيقة المؤلمة.. كيف استطاعت أن تذوب في سحره، شأنها شأن النساء الأخريات، من عناق واحد خاطف؟.

لم تكن جيني ساخطة لأنه عانقها على غفلة منها، بل لأنه تركها بعدئذ على عجل وكأنه أدرك خطأه.

كانت منذ قليل تهنىء نفسها لأنها ستغادر شقته بعد ساعة أو

منتديات ليلاس الثقافية www.lilas.com

اثنتين. . كم من السهل أن يخدع المرء نفسه! حسناً لقد أنقذها الجرس ولم تعد مضطرة للبقاء لحظة واحدة بعد.

أقفلت جيني باب الفرن، وألقت نظرة سريعة على المطبخ، ثم وقفت تتأمل الخزانة تحت الحوض بتردد. . عليها أن تفعل شيئاً حيال ذلك وتعيد هيكتور المسكين إلى الأسطورة التي ينتمي إليها.

لكن من الأفضل أن تغادر المكان، مستغلة فرصة انشغال مالوري عنها. فحملت حقيبة يدها وتوجهت إلى الباب، وإذا به يلتفت إليها وهي تمر بقربهما:

ـ لا تهتم لأمري. . سأعود في وقت لاحق. .

ثم أضافت: «أصبحت اللازانيا جاهزة».

ولكن إحساسه بالجوع سيزول بعد انقضاضه على زائرته غير المنتظرة.

ـ لا تتركها كثيراً في الفرن.

خرقت الصهباء الأجواء المتوترة التي لفّت المكان سائلة:

ـ من هذه؟.

أجابت جيني بحدة قبل أن تتسنى له الفرصة ليفتح فمه ويرد عليها:

ـ إنني أسلم الوجبات الجاهزة إلى المنازل.

وتراجعت إلى الخلف بسرعة، لئلا تتمكن يده من الإمساك بكتفها، وهي تشعر بالاشمئزاز الشديد منه. كانت جيني تدرك ميله للتنويع ولكن ألا تكفيه امرأة واحدة لسهرة واحدة؟.

ـ لا تنسَ أن تضع الأطباق في الحوض وتنقعها في الماء.

سمعته يقول شيئاً أشبه بـ «انتظري قليلاً»، قبل أن تصفق الباب خلفها، لكن كلامه لم يكن واضحاً؛ فتلك الأبواب الثقيلة المقاومة للنيران، تعزل الأصوات، بما فيها الأوامر الحاسمة الصادرة عن رجل متعجرف.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

دخلت جيني إلى شقتها وأقفلت الباب خلفها وهي تتمتم قائلة:

ـ لا شكراً. . لا أحب الانتظار في الصف.

رأت أن البقاء وحيدة في المنزل لن يجديها نفعاً، فقصدت شقة صوفي بحثاً عن ملاذ لها، وفنجان شاي ساخن يعيد إليها رباطة جأشها.

في الواقع، أرادت جيني أن تتأكد بنفسها من أن الملف وصل بسلام، ونسخته صوفي على قرص خاص بها، لتأخذه معها إلى المكتب غداً صباحاً.

على أي حال، ما عليها سوى أن تعثر على هيكتور مختبئاً في إحدى خزائن منزلها، وتترك رسالة اعتذار لمالوري تحت باب شقته، وتمحو من ذاكرتها الأفكار الخبيثة التي تراودها، بين الفينة والفينة، وتذكرها بعينيه الساحرتين.

لم يكن ريتش مستاءً فحسب بل غاضباً أشد الغضب من ليليان التي وصلت بغتة، ومن نفسه، لأنه سمح لها بأن تأخذه على حين غرة؛ غير أن غضبه بلغ ذروته عندما استغلت جيني الموقف لتغادر شقته على عجل في حين أن الخطط التي أعدّها جدية وهامة.

كانت في قبضته، ولم يكن يلزمه سوى أن يتودد إليها ويلاطفها وهما يتناولان الطعام الشهي الذي أعدته لتسترخي، وتفشي له أسرارها، مهما كان نوعها. . فهو يفضل أن تبقى معه بدلاً من أن تقع بين يدي رجل آخر. كلاهما سيستغلها، لكنه لن يلحق بها سوى أقل قدر ممكن من الأذى.

صحيح أن غايتها إيذائه، لكنه لا يكترث مطلقاً لهذا الأمر. . إذ لم يعر ريتش أيّ امرأة هذا الاهتمام منذ. . . منذ أن كان في العشرين من عمره، ووقع في حب زميلة له، آية في الجمال، تبين له لاحقاً أنها مخادعة من الطراز الأول، إذ سرقت برنامجاً وضعه بنفسه، واشترت به

وظيفة لها.

كانت تلك الضربة قاسية وقد تعلم منها درساً لم ينسه يوماً، إلى أن نظرت إليه جيني لوتور بعينيها الخضراوين الساحرتين.

فعلى الرغم من أنه لم يصدق كلامها عن هيكتور، ذلك الحيوان المدلل الذي يقتصر وجوده حسب ظنه على مخيلتها، كان مستعداً لقلب المطبخ رأساً على عقب، متمنياً من كل قلبه أن تثبت له صدق كلامها.

ومع أنها لم تتوانَ عن الإغارة على مكتبه، مؤكدة شكوكه كلها، وجد نفسه يتذكر نظراتها وهو يعانقها. كان أشبه بصبي صغير أخبره ابن عمه الأكبر منه سناً، أن بابانويل شخصية خيالية، فأحس في أعماق قلبه بأن كلام ابن عمه صحيح، ولكنه أبى أن يصدقه.

وعوضاً عن جيني المذعورة والمحمرة خجلاً، وجد ليليان بين ذراعيه.. نادمة على ثورة غضبها ومستغلة الفرصة الأولى التي سنحت لها لتعيد الساعة إلى منتصف الليل.

لا يعلم ريتش أي نوع من الأزهار أرسلت لها ويندي أو الكلمات التي استعملتها في الرسالة المرفقة بها، ولكن سكرتيرته تعرف حتماً ما تفعله، لأن محاولتها تكللت بالنجاح.

كيف له أن يتذمر والذنب ليس ذنبها إن أساءت اختيار التوقيت؟.

ليت جيني لم تستغل ظهور ليليان المفاجىء للفرار إلى شقتها، قبل أن يتمكن من التخلص من عناقها.. لكن من المعروف عنه ضعفه الشديد أمام الجنس اللطيف، ولا أحد يتوقع منه تصرفاً أفضل من ذلك.

وقف ريتش حائراً بأمره، عاجزاً عن اتخاذ قرار.. فهل يصد ليليان، ويلحق بجيني ليعيدها إلى شقته؟ وإذ بضيفته غير المتوقعة تدخل إلى المطبخ وتنكب على الأعمال الروتينية وكأنها في منزلها.

ما نجح مرة، سينجح مجدداً من دون شك. لكن عليه أن يتحلى باللباقة ويحذرها هذه المرة فيوفر على نفسه إرسال الورود، ويتفادى أي سوء تفاهم جديد.

- ليليان.. أنا آسف.

حملت ليليان رقعة نظيفة وأخرجت صينية اللازانيا من الفرن ووضعتها جانباً ثم قالت وهي تلعق طرف إبهامها:

- لا داعي للاعتذار.. رباه تبدو شهية.. ولكن ينبغي تركها لبضع دقائق أخرى في الفرن.. ما رأيك بكأس من العصير المثلج خلال هذا الوقت؟.

ولاحظت أنه لم يحرك ساكناً ليصب لها العصير فأضافت:

- أحسنت صنعاً باستخدامها لجلب الطعام الجاهز.. عليك أن تزودني برقم هاتفها.

قال لها، رافضاً الوقوع تحت سحر أهدابها المرفرفة:

- كان عليك الاتصال أولاً.. فأنا مشغول جداً.

لم يكن ريتش يكذب عليها فهو يبذل جهده ليحمي مصالحه، وباتت ليليان تدرك جيداً أن عمله يحتل المكانة الأولى في حياته، ولا يمكنه أبداً أن يمزج بين المتعة والعمل.

- لهذا السبب، ألغيت العطلة.

- علمت بالأمر، اتصلت بي شقيقتك!

هكذا إذن.. كانتا تحيكان مؤامرة، من دون علمه.

- قالت لي إن أعمالك متراكمة.

- هذا صحيح.

- ليتك نبهتني ليلة البارحة!.

ورفعت كتفيها بلا مبالاة ثم أضافت:

- آسفة.. أعلم أنني بالغت في رد فعلي، ولكنني ثرت غضباً لأنك

www.liilas.com/vb3 منتديات ليلاس الثقافية

أفسدت الأمسية علينا.

ثم أخفضت جفنيها واقتربت منه، تعبث بأزرار قميصه، لكنه أمسك بيدها بحزم يمنعها من ذلك.

فقطبت جبينها قائلة:

- أعلم يا عزيزي أن العمل يأتي أولاً، وأعدك بألا أفر ثانية... سنتناول العشاء، وتدخل بعدئذ إلى مكتبك لتنهي أعمالك.. سأجلس وأنتظرك، مهما تأخر الوقت.

أراد أن يقول لها شيئاً إلا أنه عاد وغير رأيه.. فمنذ أسبوعين تقريباً وهما يلعبان لعبة الهر والفأر، ولا يمكنه القول إن الذنب ذنبها إن فقد فجأة اهتمامه بالأمر، وبات حائراً بأمره.

- آسف يا ليليان ولكنني أخشى أن ذلك غير ممكن.

رسمت على شفتيها تلك الابتسامة عينها التي لفتت انتباهه منذ البداية.. ابتسامة متصنعة، مقارنة بابتسامة جيني البريئة، وعينيها اللتين اتسعتا ذهولاً وهو ينزع الأغصان الصغيرة التي علقت بشعرها، عندما تسللت عبر سياج آل ماكبرايد..

ماذا لو كانت جيني أكثر براعة منها في التمثيل؟.

ولكن أيعقل، في هذه الحالة، أن تحمر خجلاً؟.

شعرت ليليان بأن أفكاره مشتتة، فوضعت يديها على كتفيه ونظرت إليه بإغراء قائلة:

- ريتش.. أرجوك..

أجابها بحدة:

- سأطلب لك سيارة أجرة.

وأسرع يحرر نفسه من ذراعيها.

توقعت جيني أن تجد صوفي في المنزل تقضم أظافرها المقلمة بعناية وتزرع الغرفة جيئة وذهاباً، قلقة على مصير صديقتها الحميمة أو

مصير وظيفتها، إلا أنها لم تجد أحداً في المنزل.. لا شك أنها خرجت برفقة أحد الشبان المتيمين بها، لتتناول العشاء في مطعم فاخر.

لعل أكثر ما يثير دهشتها، هو أن صوفي لم تقترن وهي في التاسعة عشرة من عمرها، بأحد الأرستقراطيين الأثرياء، لا سيما وأنها فاتنة رقيقة ويليق بها الدلال.

فقد ولدت صوفي في مزرعة كبيرة تكثر فيها الكلاب والخيول الجميلة وسط عائلة مؤلفة من أربعة أولاد. ومنذ أن تفتحت على الحياة، وهي محط أنظار الكثيرين.

وفيما دخلت جيني إلى الجامعة قررت هي ألا تقضي عمرها تحشو دماغها بمعلومات لا طائلة ترجى منها، فأخذت استراحة لمدة سنة، لتدرس أخلاق طالبي الزواج منها وتختار واحداً منهم.

غير أنها ما لبثت أن صرفت انتباهها عن هدفها الأساسي وانغمست في اللهو.

وخطر لجيني في تلك اللحظة، بأن ريتشارد مالوري يليق جداً بصوفي؛ ولو أنها من النوع الكثير الشكوك، لحسبت أنها عملت في شركته بغية التقرب منه؛ إلا أن ذلك بعيد كل البعد عن الواقع.

لعل والد صوفي على حق.. قطبت جيني جبينها وهي تصعد السلالم إلى شقة ماكبرايد.. ما الذي حصل؟ لماذا؟.

وفجأة رأت الرجل الواقف عند باب شقتها... فتسمرت في مكانها وقد رفض عقلها أن يصدق ما رأته عيناها، فصورته بين ذراعي تلك المرأة المثيرة ذات الشفتين القرمزيتين حفرت فيه ولم تفارقه...

إلا أنها ما لبثت أن أدركت حقيقة ما يجري. وأسرعت تحاول أن تختبىء منه، فإذا به يلتفت نحوها، ليجدها غارقة في حيرتها.. هل تنزل السلالم من جديد؟ ولكن أين تراها تذهب؟.

لم تجد أمامها حلاً آخر سوى الابتسام له، محاولة أن تتظاهر

بالسرور لرؤيته.

كانت تعابير وجهه توحي بأنه يعيش صراعاً داخلياً، وكأنه يتمنى أن يتواجد في تلك اللحظة، في مكان آخر وربما في قارة أخرى.

ولكن لعله مسرور أيضاً لرؤيتها!.

لكن لمَ تراه يسر لرؤيتها؟ ألم تسبب له ما يكفي من المتاعب؟.

ولمَ يتخبط قلبها بين ضلوعها لمجرد تفكيرها في الأمر؟ يا لها من فكرة سخيفة!.

لا شك أن قلبها يخفق بسرعة لأنها صعدت السلالم على عجل...

وتملكتها فجأة رغبة جامحة في أن تقول له إن فأرها عاد سالماً إلى منزله، وتعتذر عما سببته من متاعب؛ غير أنها كانت متأكدة من أن كلامها لن يقنعه، لاسيّما بعد أن فرت هاربة.. لا بد أنه سيطلب منها التأكد من ذلك بنفسه.

سألته بنبرة مفعمة بالأمل:

ـ هل عثرت عليه؟.

ـ عثرت عليه؟.

ـ هيكتور.. لما كنت تقرع جرس باب شقتي؟.

ـ كنت أقرع جرس باب شقتك لأننا سنتناول العشاء معاً.

وأمسك بمرفقها وقادها بحزم إلى شقته، من دون أن يتكبد عناء سؤالها ما إذا كانت ترغب بذلك.

ـ ولكن ما من داع لذلك.. فالطعام لا يكفي لنا نحن الثلاثة.

ـ لن تبقى ليليانْ على العشاء.. وأفضل في المستقبل أن أتخذ القرارات بنفسي، في منزلي.

بذلت جيني جهدها لئلا تلوي فمها استهزاءً ثم قالت:

ـ آسفة.. لم أشأ أن تخالني.. من حسبتني؟.

ـ ظننت أنك صاحبة مطعم تسلِّم الأطباق الجاهزة للعازبين العاجزين عن تحضير طعامهم بأنفسهم.

ولمحت في عينيه نظرة مرح وعلى شفتيه ابتسامة عابثة وهو يستطرد قائلاً:

ـ عليك أن تستغلي هذه الفرصة الذهبية لتبدئي مشروعاً تجارياً عظيماً.. في الواقع، طلبت مني ليليان رقم هاتفك وسأعطيها إياه.

ـ وهل تعرف ليليان عدداً كبيراً من الرجال العازبين، ليستحق هذا المشروع العناء؟.

ـ أينها الخبيثة!.

تباً! فضحت النبرة أمرها.. وهي تخشى أن يخالها متلهفة لأن يضمها إلى لائحة نسائه الطويلة.

ـ حسناً.. في هذه الحالة سأنظف الصحون، اتفقنا؟.

ـ اتفقنا!.

فتح ريتش باب الخزانة، فيما انهمكت جيني بإخراج صينية اللازانيا من الفرن وقد أصبحت أطرافها مقرمشة.

قال لها:

ـ لا أثر لهيكتور...

ألقت جيني نظرة عاجلة على الخزانة وقالت:

ـ من الأفضل ألا نترك باب الخزانة مفتوحاً.. لا أظنك تريد أن تخيفه ليفر هارباً!.

لم يكن يجدر بها أن تقول ذلك، لكن مالوري يدفعها إلى إظهار أسوأ ما فيها.. وبما أنها ليست معجبة به لمزاياه البطولية، فلا بد أن هذه الجاذبية مجرد رغبة صرف.. غير أنها المرة الأولى التي تمر فيها بتجربة مماثلة، فلم تستطع التثبت من الأمر.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

على أي حال، كانت الفرصة سانحة لتلزم الصمت وتبقى على مسافة بعيدة منه.

- أتعتقدين أن علينا أن ننتظر ليأكل التفاحة؟.

كانت نيران الغضب تستعر في داخلها فيما ريتش قلق بشأن الهامستر.

- إن اختفت التفاحة، فسنتأكد عندئذ من أنه يختبىء في الداخل، ونقرر ما علينا أن نفعله.

- أتقصدين أننا قد نضطر إلى تفكيك المطبخ؟.

- ربما.

أرادت أن تنكد عليه قليلاً، إلا أنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام.

- يمكننا أن ننصب له فخاً رحيماً قبل أن نتخذ أي اجراءات متطرفة.

قطعت اللازانيا إلى قطعتين ووضعتهما في الطبقين وهي تمص إبهامها الذي تلطخ بالصلصة الساخنة، ثم قالت له:

- لست مضحكاً يا ريتشارد مالوري.

توقعت أن تسمع منه رداً خبيثاً، ولكنه لم يفعل، فرفعت عينيها إليه وإذا به يقف مقطب الجبين، وقد أقفل باب الخزانة وراح يتأملها، وفي عينيه تعابير غريبة...

أحست جيني بضيق في صدرها، وكأن العالم توقف فجأة عن الدوران من حولهما. ولف السكون المطبق المكان، سكون أثار توترها.

شعرت بأن الموقف سينفجر بينهما وتمنت في قرارة نفسها أن يحصل ذلك في الحال، لأن صمته يثير خوفها. أمسك ريتش بمعصمها وسألها:

- هل حرقت إبهامك؟.

لم تستطع الرد عليه، فلمسة يده لسعت يدها أكثر من الصلصة الحارة وجعلت الدم يجري حاراً في عروقها، مشوشاً أفكارها، وعاقداً لسانها.

لم ينبس ريتشارد بكلمة أخرى، لكنه رفع إبهامها ينظر إليه عن كثب، ثم فتح الماء البارد ووضعه تحته.

شعرت جيني بالارتياح.. ربما من تأثير الماء البارد.. فأخذت نفساً عميقاً وتمتمت قائلة:

- شكراً لك.

نظر إلى إبهامها من جديد ثم رفع عينيه إليها وقال، ووجهه خالٍ من أي تعبير:

- لا عليك.

وتنبهت في تلك اللحظة إلى أنه أقل خطورة حين يبتسم، منه حين لا يفعل.. فحاولت أن تسحب يدها من قبضته لكنه أبى أن يفلتها قائلاً:

- أرى أن يدك لم تصب بأذى.. ولكن إن كنت تجدين متعة في تفكيك مطبخي، فأنت تحتاجين إلى دروس خاصة في وسائل اللهو.

ثم أفلت يدها، وحمل الطبقين مضيفاً:

- أيمكنك إحضار العصير؟.

أجابته وهي تمسك بزجاجة العصير والكأسين جيداً خشية أن توقعها أرضاً:

- يمكنني أن أتدبر أمري.

حمل ريتش الطبقين وتوجه مسرعاً نحو المقصورة بحثاً عن بعض الهواء المنعش...

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

وضع الطبقين على الطاولة المنخفضة ثم خلع حذاءه وعاد أدراجه لينقذ زجاجة العصير والكوبين من يديها المرتجفتين.

قالت له متلعثمة:

ـ أشكرك.. سأذهب لإحضار السلطة.

ـ لا.. اجلسي أنت.

بدت له وكأنها على أهبة الفرار منه، وهو يأبى أن يعطيها فرصة جديدة للهروب.

ـ سأذهب لإحضارها بنفسي.

ـ حسناً.. لا تنسَ الخبز والصلصة.. كان علي أن أضعها في وعاء وأخفقها قليلاً بعد..

لم يتفوه ريتش بكلمة بل وقف مكانه ينتظر.. فإذا بها تخلع حذاءها من دون إحراج أو تعليق سخيف، وتركع بخفة على الوسادات المحيطة بالطاولة.

خطر له أنها ستبدو رائعة الجمال بشعرها المعقوص إلى الخلف، وقد تدلت بعض الخصلات على وجهها.. وكم تمنى أن يفك عقدة شعرها، ويترك يده تتغلغل بين خصلاته.

ـ أهذا كل شيء؟.

ـ أجل.

وفتحت فمها وكأنها تريد أن تضيف شيئاً ما، إلا أنها عدلت عن ذلك.

ـ سأهتم بكل شيء.. فمع أنني كرجل الكهف، إلاّ أنني لست أبله إلى هذا الحد!

أو لعله يأمل ألا يكون كذلك.. فقد تركها تتصرف على سجيتها، من دون أن يردعها.. ولكن أين تراها ذهبت منذ قليل؟ من الواضح أنها لم ترجع إلى الشقة أو تبتعد كثيراً عن المكان، لأن الوقت لم يسمح لها

بذلك..

ـ في الواقع، كنت سأطلب منك أن تحضر شوكتي.

عاد ريتش بعد قليل حاملاً الصلصة، وقد خفقها جيداً ووضعها في وعاء، فضلاً عن باقي الحاجيات، ثم تربع على الوسادات وصب لها العصير المثلج.

فقالت له: «كان حري بنا أن نتناول السوشي».

ـ لا بأس بهذا الطعام، لكن أرجو ألا يكون قد فسد بسبب التأخير..

ـ لا تأكل الأطراف المحمصة.

ـ حسناً.

وصب لها السلطة، ووضع القليل منها لنفسه، ثم تذوقها وهو يتلذذ بكل لقمة. وراح يثني على مهاراتها في الطبخ، بعبارات موضوعية، من دون أن يتطرق إلى مواضيع أكثر حساسية.

كان الليل قد بدأ يسدل ستاره على المدينة، والظلمة تطرد شيئاً فشيئاً الوشاح البنفسجي الذي اتشحت به السماء في تلك الأمسية الصيفية.

ـ أحب هذا الوقت من النهار.

ـ أظنه أجمل في الريف.. فالهواء منعش والنجوم تبدو متلألئة في السماء.

ـ أتقيمين في الريف؟.

ـ أقيم في أوكسفورد، ولكنني أقصد الريف كلما سنحت لي الفرصة... كم أتوق للعودة إليه!.

ـ ما الذي دفعك لقبول الاعتناء بمنزل آل ماكبرايد؟.

ـ أريد إجراء بحث في المكتبة البريطانية.. ولم أجد من سبيل أفضل للإقامة في لندن.. ألا تعتقد أنني محظوظة لإقامتي في شقة

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

مماثلة، من دون أن أدفع إيجاراً؟.

إنها مجرد صدفة إذن.. ولكن أيعقل أنهم اختاروها لأنها تقيم بصورة مؤقتة في الشقة المجاورة؟ أم تراهم خططوا لذلك منذ البداية؟.

ألم تدّعي بأنها تعرف فيلي ماكبرايد؟ أين تراها تعرفت إليها؟.

ـ ما هو موضوع رسالتك؟.

ـ «البطل، ما بين الحقيقة والأسطورة».

كان الضوء خافتاً، ولا يمكنه رؤية وجهها بوضوح، إلا أنه كان متأكداً من أن الحمرة علت خديها.

ـ وهل توصلت إلى أي استنتاج؟.

ـ ما زلت أعمل على ذلك.

ـ ما الذي تفعلينه أيضاً؟.

ـ المعذرة؟.

ـ قلت إنك تدرسين وتحاضرين، وتتسكعين في الريف، وتربين هامستر... إني أحاول أن أكوّن فكرة عنك... أين تقيمين؟ ألديك أصدقاء؟ أتحبين السينما؟.

ـ أشعر وكأنني أخضع للاستجواب.. ماذا عنك؟.

ـ حياتي كتاب مفتوح... فالصفحات الاقتصادية تعج بمقالات عن أعمالي، فيما تجذب حياتي الخاصة اهتمام محرري العواميد الخاصة في الصحف... ولكنني سألبّي رغبتك، وكلما أجبت عن سؤال، سمحت لك بأن تطرحي واحداً علي، اتفقنا؟.

هزت كتفيها لامبالية وقالت: «حسناً.. أقيم في بيت الطالبات».

ـ هل أعجبتك اللعبة؟.

وإذ رفعت حاجبيها استغراباً، أضاف:

ـ يمكنك أن تطرحي علي سؤالاً.

ـ نعم، أعجبتني اللعبة، وأجدها مناسبة.. حسناً، قل لي.. ما

الذي تشعر به وحياتك تحت المجهر وتشكل موضوع تخمينات لا نهاية لها؟.

بدت وكأنها مهتمة فعلاً بالأمر.. وكأنها.. لوتور.. لوتور.. وتذكر، في تلك اللحظة، الاسم..

إنها ابنة جوديث لوتور، المناضلة في سبيل المساواة بين الرجل والمرأة، التي اختارت طالباً متفوقاً ليكون والد طفلتها، في إطار اختبار عن هندسة الجينات..

لكن أيعقل أن ينجب نابغتان، طفلة معجزة؟.

وإذ أحس بأن صمته طال أكثر مما ينبغي، قال لها:

ـ في الواقع، كان الأمر يثير سخطي، ولكن ما الجدوى من ذلك؟ فمعظم ما يروى خالٍ من الصحة، ويهدف إلى خلق نوع من الإثارة عند ارتشاف قهوة الصباح.. أظنك تعلمين جيداً كيف تسير هذه الأمور.. إذ يتوقع الناس من العازب الثري أن يتزوج، ربما أكثر من مرة.

عندئذ، قال لها: «لم يعد يحق لك طرح سؤال آخر.. حان الآن دوري».

فأسرعت تقول:

ـ أتريد أن تعرف إن كان لدي صديق؟

ـ يبدو لي أنك أجدت في تجنب هذا الأمر.

ـ الأول مسألة وقت فحسب.. أو ربما عدم توفر الوقت الكافي.. فالمرأة تحتاج للاهتمام والرعاية.. وإن أحست بأنها مهملة، بدأت تبحث عن شخص آخر يوليها اهتماماً أكبر.

ـ أتقصد القول إنك لست من النوع الذي يفقد سريعاً اهتمامه بالمرأة التي يخرج برفقتها؟.

ـ عليك أن تجيبي عن هذا السؤال بنفسك.. فإن كنت أهتم بما فيه الكفاية لبذلت قصارى جهدي لأجنبها الإحساس بأنها مهملة.. ليلة

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

البارحة، انهمكت في العمل ونسيت أمر ليليان.

- يبدو لي أنها غفرت لك.

- تركت لي رسالة فظّة.. كانت تستحق الاعتذار فحسب.

- آه.

سألها على الفور، وكأنه يريد أن يحثها على الرد عليه، بأكثر من «نعم» أو «لا»:

- ما من صديق يهتم لأمرك بما يكفي ليبغي الزواج بك؟.

- بات الزواج مؤسسة قديمة الطراز، ألا تظن ذلك؟.

- أرى أنك تمشين على خطى والدتك في أمور أخرى، غير دراستك.

ترددت قليلاً:

- ربما.. ولكن لو كنت مكانها، لكانت خياراتي مختلفة.

- أتقصدين لأنها أم وحيدة؟.

- لم تعرف الحب.. لكنها اختارت شخصاً مناسباً برأيها لإنجاب طفلة.

تدافعت عشرات الأسئلة على شفتي ريتش.. من؟ لماذا؟ كيف كانت طفولتها؟ كيف واجهت فضول الناس وتطفلهم؟ إلا أنه احتفظ بها كلها لنفسه.

قال لها بعد طول انتظار: «في الواقع، لا أشاطرك الرأي».

- ماذا؟.

كم تمنى في قرارة نفسه أن يأخذها بين ذراعيه ويضمها إلى صدره ويحميها..

- لا أظن أن الزواج مؤسسة قديمة الطراز.. فأنا أؤمن بارتباط أبدي، يتوج باحتفال ملائم، وتفاهم على واجبات كل من الطرفين.

وتذكر في تلك اللحظة العهود التي قطعتها أخته وزوجها، حين

كان شاهداً على عقد زواجهما في دار البلدية.

رمقته جيني بنظرة مفعمة بالشك، فهز كتفيه وأضاف:

- أقصد مثل أي مشروع تجاري.. ومراسم الزفاف، سواء أكانت مترفة أو بسيطة، تؤمن كل ذلك.

- وتليها حفلة عامرة، تقدم فيها الاشبينات الفاتنات كالتحلية.

وندم في قرارة نفسه لأنه أتى على ذكر المشاريع التجارية.. فالزواج يفوق المشاريع التجارية أهمية، لاسيما إن كان ناجحاً.

- ربما كنت رجلاً تقليدياً ولكنني أؤمن بالعادات.. حسناً.. سؤالي التالي هو..

- سبق وطرحت سؤالك.

- أبداً.. أنت اقترحت سؤالاً لم أدخله في الحسبان.. ومن ثم، انتقلت إلى سؤال آخر.. مما يعني، أنه يحق لي الآن أن أطرح سؤالين.

وأدركت جيني أنه غلبها.. صحيح أنها وضعت قواعد اللعبة بنفسها، إلا أنه تبين لها، بعد فوات الأوان أنه ليس من النوع الذي يخضع لقواعد أي شخص آخر، سواه.

استطاع أن يتلاعب بها على هواه، مستغلاً افتقارها إلى الخبرة في هذا النوع من المزاح ذي الحدين، بغية استدراجها لتزويده بمعلومات، لطالما أبقتها سراً.

فهي لم تخبر أحداً عن والدتها يوماً، تاركة للآخرين حرية اللغو.

ولكنها كانت تتعلم. ولم تستغل، هذه المرة، فرصة التزامه الصمت لتعارضه.. بل فضلت ألا تخرق الصمت المطبق الذي ساد بينهما، رافضة أن ترضيه.

إلا أنها لم تعد تحتمل، فسألته:

- ما الذي تريد أن تعرفه؟.

www.liilas.com/vb3 منتديات ليلاس الثقافية

أجابها وعيناه تتراقصان بهجة :

ـ أريد أن أعرف ما الذي ستفعلينه غداً؟ .

* * *

٦ ـ حصان طروادة

لم تخطىء جيني حين ارتأت أن تتوخى الحذر . . . فللحظات قليلة خلت، بدأت تستعيد رباطة جأشها، تقريباً . . . صحيح أن ضربات قلبها لا تزال متسارعة، غير أن الارتعاش الذي تملكها أخذ يخمد ليبلغ درجة تجعل من السهل التحكم به .

وها هي الآن تعود إلى نقطة الانطلاق . . ما الذي ستفعله غداً؟ .

وضعت شوكتها إلى جانب طبقها بحذر شديد، لئلا تلامسه وتحدث قرقعة . . . وأحست بحاجة شديدة لارتشاف جرعة من العصير المثلج، علّه يخفف من جفاف حلقها، إلا أنها خشيت أن تحمل الكوب فينكسر بين أصابعها .

فبعد ما سببته لها والدتها من قلق واضطراب، نغصا عليها عيشها في خلال طفولتها، باتت جيني مهووسة بالترتيب والنظام وتأبى أن تفقد السيطرة على حياتها مهما كلف الأمر .

صحيح أنها تعثرت مرة ووقعت ضحية الكلام المعسول والابتسامات العذبة، بعد أن خانتها لهفتها للإحساس بأنها مرغوبة لشخصها إلا أنها دفعت الثمن غالياً من كرامتها، بعد أن باع الطرف الآخر الذي منحته حبها قصته لإحدى الصحف، ففقدت جيني ثقتها بالناس ولم تعد تطمئن إلا لصوفي التي تستحق أن تخاطر بحياتها من أجلها .

www.liilas.com/vb3 منتديات ليلاس الثقافية

وعلى الرغم من أن مظهر صديقتها الخارجي يدل على أنها فتاة لعوب، إلاّ أنّ جيني كانت تلجأ إليها كلما أحست بظلمة الحياة ووحشتها، لتجد بين ذراعيها المفتوحتين ملاذاً لها.

قررت جيني في سرها أن تتجاهل خفقات قلبها المتسارعة وراحت تبحث عن جواب ملائم، من الأجوبة التي تخزنها لمثل هذه المناسبات.

إلاّ أن ذلك تطلب منها بعض الوقت، إذ مضى زمن طويل لم تلجأ فيه إلى هذه الحيلة. . ففضلت في نهاية المطاف أن تقول له الحقيقة، لئلا يخالها تتذرع بحجج واهية:

ـ لدي عمل غداً.

ولم تقوَ جيني على كبح جماح حشريتها، تلك الحشرية التي جعلت منها الأولى في صفها، وأكسبتها منحة دراسية فسألته: «لماذا؟».

توقع ريتش أن تتذرع بحجة ما، وانتظر ردها باهتمام بالغ. . إلا أن الوقت الذي أخذته لترد عليه، أكد له أنه زجها في موقف حرج، عجزت عن الخروج منه.

وقبل أن تتاح له الفرصة ليهنىء نفسه على ذكائه، قلبت الموقف لصالحها، وفاجأته بسؤال لا يملك رداً عليه. . . سؤال لم يكن مستعداً لمواجهته أو حتى الإقرار به. .

ـ لا شيء مهم.

وقرأ على وجهها تساؤلات عدة تعذر عليه الإجابة عنها. . فلماذا تراه طرح عليها هذا السؤال؟.

منذ أن جلسا إلى الطاولة وهو يحاول أن ينظم أفكاره ليطرح عليها أسئلة دقيقة، تحثها على كشف النقاب عن حقيقة أفكارها، وأسرارها ورغباتها. . ولكنه فاجأها بسؤال غريب عن مشاريعها في الغد. . سؤال

لا يندرج في إطار استراتيجية مدروسة أعدها مسبقاً، بل يوحي بأنه يريد مواعدتها، ويتلهف لقضاء المزيد من الوقت برفقتها. .

لكن، ألم يكن يعلم في قرارة نفسه أنها ستشن هجوماً مخادعاً؟ وكان محقاً. فقد حصلت على ما تريد، ولم يعد هنالك من سبب يدفعها لقضاء المزيد من الوقت برفقته.

فما الذي حثها يا ترى على طرح سؤال مماثل؟.

حاول ريتش أن يكسب المزيد من الوقت فأخذ عود كبريت وأشعل الشموع الموضوعة في شمعدان صغير من زجاج، فانعكس نورها الخافت على وجهها.

ولأول مرة منذ أن وقعت عيناه عليها، أقر في سره بأنها تفتقر إلى مقاييس الجمال، التي قد تلفت انتباهه إليها لو قدر لهما أن يتقابلا في ظروف مختلفة. فقد بدا له أنها تميل إلى البساطة في ملابسها وزينتها؛ إذ خلا وجهها من التبرج، وشعرها من الخصل الملونة البراقة وفقاً لآخر صيحات الموضة. كما لم تتكبد عناء استبدال نظاراتها بعدسات لاصقة، على غرار معظم الفتيات اللواتي في سنها، أو ارتداء ملابس ضيقة تبرز مفاتن جسمها. لا شيء فيها ينادي عالياً: «انظروا إلي كم أنا جميلة».

لعلها تبذل محاولات حثيثة لتتجنب الأنظار. . والحق يقال إنها أبلت بلاءً حسناً في ذلك. .

ولكن ما الذي يجذبه إليها؟ أتراه التناقض ما بين مظهرها الذي يدل على شفافيتها، واقتناعه المطلق بأن افتقارها إلى المكر هو قناع بحد ذاته؟. .

لقد لفتت انتباهه ببشرتها الناعمة النضرة، وعينيها الخضراوين المبهمتين المليئتين بالأسرار فقط. .

كما أنها حصلت على القرص الذي يحمل مشروعه الأخير، أو

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

على الأقل هذا ما تظنه، لكن النتيجة واحدة. لديها القرص الذي سرقته منه. وما إن تستخدمه، حتى يفضح أمرها ويضعها أمام خيارين. . إما يبلغ الشرطة عنها أو تخبره بكل ما يريد أن يعرفه.

وفي انتظار حدوث ذلك، لن يجد صعوبة في قضاء بعض الوقت برفقتها. سواء أكان صاحب هذه الفكرة مدير شركة مالوري أم ريتشارد مالوري الإنسان.

قال لها أخيراً، مجيباً عن سؤالها، السؤال الذي طرحته، والآخر الذي قرأه في عينيها:

ـ سأحتاج إلى شخص يعاونني، إن قررت تفكيك المطبخ.

وتوقف قليلاً عن الكلام، تاركاً لها الفرصة لتفكر في الأمر، ثم أضاف بنبرة مثيرة للغضب، وكأنه يستمتع برؤيتها ساخطة:

ـ شخص يعطيني مفك البراغي عند الحاجة. . . ولكن إن كنت مشغولة. . .

لا بد أنها ستكون مشغولة جداً. . . فهيكتور مجرد حيوان من صنع خيالها، لكن ذكاءها الشديد وخبرتها الواسعة في أساطير هوميروس، حثاها على اللجوء إلى سيناريو «حصان طروادة»، لتتمكن من التسلل إلى قلعته الحصينة.

أحس بقشعريرة تسري على طول عموده الفقري. . أتراه يشعر بالإثارة لأن اللعبة تخطت المستوى الجسدي لتبلغ المستوى الفكري. .

لا شك أنها تخال أنها انتصرت عليه وقد حققت مرادها. . فلمَ تضيع المزيد من الوقت معه؟.

ما من سبب في العالم كله يرغمها على ذلك. . فعند المساء «ستعثر» حتماً على فأرها الضائع، وتترك له غداً صباحاً، رسالة موجزة، عند الباب، تعتذر فيها عما سببته له من متاعب، شاكرة له

حسن ضيافته. . . وستبذل بعدئذ جهدها لتتفادى لقائه، خلال فترة إقامتها في لندن. . ولن تجد صعوبة في ذلك، لأن دربيهما مختلفان كلياً. ولقاؤهما ما كان ليحصل لو علمت أن الغرفة التي تفتشها ليست خالية. . .

وكم كانت صدمته عظيمة حين أدرك معنى ذلك؛ إذ لا بد أن أحد الأشخاص المقربين منه أخبرها أنه سيسافر بعيداً.

نسيت جيني أنها دخلت شقة ريتشارد مالوري متذرعة بحجج كاذبة، وجلست تتحدث إليه، وتشاطره العشاء، وتمازحه من دون إحراج، وهي مسترخية تماماً.

وها أن الفرصة سانحة لتقضي صباحاً ممتعاً برفقة المليونير الوسيم، الذي تحب أخباره الصحف اليومية. . ستبقى في المطبخ، محاطة بمفك البراغي ومفتاح انكليزي، بدلاً من السلمون المدخن والكافيار. . لكنه مطبخ ريتشارد مالوري، ومن الغباء أن ترفض ذلك.

وفيما كانت حاجة أنثوية غريبة لم تعهدها من قبل تلح عليها لتتناسى عملها وتتمسك بهذه الفرصة التي لن تتاح لها مرة أخرى، راح عقلها الحكيم الذي لم يخذلها يوماً، يصر عليها لتنسحب.

فوجدت نفسها تحاول المماطلة. . صحيح أنه أراد مغازلتها، ولكن ما من داع لتضخيم الأمور وتعظيمها فالرجل لم يستطع أن يمالك نفسه أو ربما خيل إليه أنها تتوقع منه تصرفاً مماثلاً، وإلا خاب ظنها فيه. .

ـ ريتشارد.

أحست بقوة اسمه على لسانها ففقدت تركيزها وأضاعت بعد نظرها. وإذ رفع حاجبيه حائراً لملمت شتات أفكارها على عجل، وقالت:

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

ـ لا داعي لتفكيك المطبخ . . سأنزل صباح الغد وأشتري شركاً .

وما إن نطقت بهذه الكلمات حتى علمت أنها ارتكبت خطأ، وخالجها شعور غريب بأنه توقع منها أن تتفوه بجواب مماثل .

فقال لها مؤكداً شكوكها :

ـ لا تبدين متوترة أبداً . . فمعظم النساء يضطربن في حالة مماثلة .

بدا واضحاً جداً أنه يؤمن بأن الرجل صنع من عناصر أكثر قساوة . . . وتذكرت في الحال رفيقتها في الغرفة في الجامعة ، التي أصيبت بالذعر ، وراحت تدور كالبلهاء في أرجاء الغرفة ، حين أضاعت فأرها .

ـ لا أظن أن الاضطراب يجدي نفعاً .

أرادت جيني أن تظهر أمامه بمظهر المرأة التي تسيطر سيطرة تامة على حياتها . . إلا أن ردّها بدا له نوعاً من الدفاع عن النفس .

ـ هذا صحيح ، لكنه رد فعل طبيعي ، ولا داعي للخجل منه . . ألا تخشين أن يقضي فأرك جوعاً؟ .

وأدركت للتو بأنه يسعى إلى إثارة غضبها ، وتصويرها في صورة الفتاة الغريبة الأطوار ، الباردة المشاعر ، لكنها تعرف جيداً أن اتهاماته لا أساس لها من الصحة . .

فلو كان هيكتور حيواناً حقيقياً لأغدقت عليه العنب والبندق ، وكل ما طاب له . . والغريب في الأمر أن ذلك سهل عليها الطريق لدحض اتهاماته :

ـ ليس في القريب العاجل لأنه يعاني دوماً من التخمة . .

ـ ويتميز بسرعته في العدو .

ـ أحسنت! .

ـ ألا يتطلب هذا النوع من الطاقة تغذية مستمرة؟ .

بدأت كلماته تثير توترها ، فقالت له :

ـ كلما كان جوعه شديداً ، كلما تضاعفت فرص وقوعه في الشرك .

ـ يبدو أن التفاحة لم تثر اهتمامه .

شعرت جيني وكأن الشرك نصب لها . . . فردت عليه بنبرة مفعمة بالشدة :

ـ إنها تفاحة حمراء وهو يفضل التفاح الأخضر .

ـ حقاً؟ .

وومضت عيناه على ضوء الشموع بوميض غريب ، فأحست جيني وكأنها تسير على سطح من الجليد ، قد يتحطم تحت قدميها بغلطة واحدة .

ـ كم عمره؟ .

ـ سنتان ونيف .

ـ أليس طاعناً في السن بالنسبة إلى هامستر؟ .

ـ ليس يافعاً .

كان حري بها أن تقوم ببعض الأبحاث عن الهامستر قبل إقدامها على هذه الخطوة السخيفة ، ولكن لم يخطر في بالها أبداً أنه قد يجرها إلى حديث معمق عن هذا الموضوع .

وتبين لها ، في تلك اللحظة ، أن زمام الأمور أفلت من يديها ، وتملكها الرعب فجأة ، وقد أدركت مغزى كلامه .

ـ لا أظنك تخاله ميتاً .

لم تكن مرغمة على التظاهر بالرعب ، لأنها كانت مرعوبة حقاً ، وقد صرّت على أسنانها لئلا يسمع أنينها . . كيف خطر لها أن تتفوه بهذه الحماقات؟ .

وجدت أنّ من الأفضل لها أن تنصرف ، لئلا تتمادى في هذه السخافات . . وفي صباح الغد ، ستترك له رسالة تعلمه فيها بعودة هيكتور ، وتنهي القصة عند هذا الحد . .

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

قالت له:

ـ كانت أمسية رائعة. استمتعت كثيراً بالعشاء، وبرفقتك المسلية، ولكن علي أن أنصرف الآن.

وقبل أن يقدم على أي تصرف لإقناعها بالبقاء، هبت واقفة ثم صرخت من الألم.

كانت جيني تفضل الجلوس على أريكة واسعة ووثيرة، بدلاً من تلك الوسادات المكدسة على الأرض على الطريقة الشرقية... إذ تخدرت رجلاها وعجزت عن الوقوف عليهما، فعادت إلى الجلوس مكانها بسرعة. لكنها أوقعت في عجلتها كأسها على الأرض.

وكم كانت دهشتها كبيرة حين رأت ريتش قربها يسألها:

ـ هل جرحت؟.

ـ وحدها كرامتي جرحت.

وكبتت أنينها، وأضافت وهي تحاول الابتسام:

ـ دقيقة واحدة ويعود الدم ليجري فيهما.

وراحت تفرك رجليها، في محاولة منها لتسريع هذه العملية، لكن ريتش منعها من ذلك قائلاً:

ـ لا تتحركي واستلقي على ظهرك!.

ماذا؟.. وأسرعت ترد عليه، رافضة الرضوخ لكلامه:

ـ سأكون بخير.

فهي لن تتوانى عن القفز على رجلها إن دعت الحاجة...

وفيما كانت تبعث رسائل إلى رجليها لتكفا عن التصرف كدجاجتين مبلولتين، قال لها برقة:

ـ لن تتحسن حالتك إلا إن تمددت وتركتني أهتم بك.

يا لغبائها! ألن تكفّ أبداً عن التصرف كفتاة مراهقة معقدة؟ إنه يحاول أن يكون لطيفاً معها.. وذاك العناق القديم لم يكن يعني له شيئاً

وإلا لأعاد الكرّة..

احتجّت عندما راح الحذر والفطرة السليمة يلوّحان لها من بعيد براية الاحتراس..

وعلى الرغم من أن رجلها كانت مخدرة، إلا أنها شعرت برعشة حين راح يدلك كاحلها بأنامله الرقيقة.

قال لها وهو ينظر إليها بطرف عينه:

ـ غالباً ما أنسى أن الجلوس بهذه الطريقة لمدة طويلة، يتطلب مهارة خاصة.

كيف خيل إليها، في لحظة من اللحظات، أنه سينقض عليها، حالما تتمدد على الأرض؟.

طردت هذه الأفكار من رأسها، وعادت تتنفس بصورة طبيعية.

ـ أتشعرين بتحسن؟.

ماتت الكلمات على شفتيها، وهي تشعر بالحياة تدب من جديد في كاحلها وساقها.

وجدت جيني صعوبة في التفكير بشكل سليم، لاسيما وأن حرباً ضروساً تدور في عقلها..

وعاد يسألها من جديد:

ـ هل أؤلمك؟.

رفرفت بعينيها وقد تملكتها الحيرة.. أتراها تنهدت بصوت مرتفع، أم لعلها سمحت لنفسها بالاسترخاء أكثر مما ينبغي؟.

فأسرعت تقول له وهي تخشى أن يحسبها تتنهد انشراحاً:

ـ ليس كثيراً.. فأنت تبلي حسناً.

ظهر بريق غريب في تلك العينين الزرقاوين، والتوى فمه ساخراً وكأنه يعرف جيداً ما يفعله.

ـ هل بدأت تستعيدين الإحساس برجلك؟ أم أنها لا تزال مصابة

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

بالخدر؟.

لم تكن جيني تعاني من خدر بل من وخز حار في عروقها وهو يمسد رجلها بنعومة بالغة.

ـ الألم محتمل.

أحست جيني بنيران اللهفة الخامدة في أحشائها تستعر، وألسنتها تتطاير في أنحاء جسدها كله.

ـ أظنك بدأت تستعيدين الإحساس برجلك.

ـ فعلاً.

ووجدت نفسها مرغمة على التحرك أو قول ما يخفف من حدة التوتر بينهما:

ـ كيف اكتسبت هذه الموهبة؟.

أربكه سؤالها للوهلة الأولى، إلا أنه عاد وأجابها قائلاً:

ـ أتقصدين الجلوس على الأرض؟ أمضيت بعض الوقت في اليابان.

وتوقف عن تدليك رجلها، فتمنت في سرها لو أنها لم تنبس ببنت شفة.

ـ كيف حال رجلك الأخرى؟.

ممتاز! ها هو الآن يقرأ أفكارها، وعليها أن تجد حلاً سريعاً.

ـ جيدة.

لم تشعر جيني بنفسها وهي تطلق تنهيدة شوق، فرفع رينش عينيه الغامضتين إليها، يسألها بصمت سؤالاً، رد عليه جسدها.. إلا أن «حذرها» تسلل خلسة وسط بلبلة عقلها، وأخذ يصفق الأبواب ويقفل المصاريع، رافضاً الإصغاء.

أفلتت منها تنهيدة أخرى أقرب إلى أنين الألم فتردد صداها في أرجاء المكان، وسط سكون الليل فرفع عينيه إليها مجدداً، وقد تحول

لونهما من الأزرق إلى الرمادي الضبابي... لعله تأثير الشموع. صدقها هذه المرة، فشعرت على الفور بالندم والارتباك.. لكن، أليس هذا ما تسعى إليه؟.

ـ آسف يا جيني.

ـ لا عليك.

وتملكها إحساس بالذنب لأنها سمحت لنفسها بأن تطلق أنين ألم وكأن تدليكه يؤلمها، فاستطردت تقول:

ـ أحب هذه المقصورة و..

ـ لم أقصد أن أقلقك بشأن هيكتور.

علت إمارات الدهشة وجهها، فبدا واضحاً أنها لا تملك أدنى فكرة عما يتحدث.. من؟ هيكتور؟.. يا إلهي! كيف خطر لها أنه يعتذر عن جلستهما غير المريحة بعد أن خدعه أنينها؟.

عليها أن تواجه الواقع.. فهو معتاد على الأرجح، على القيام بهذه الأمور ويدرك جيداً أن ما يفعله لا يستحق منها أنين ألم أو تنهيدة.

ـ لا.. لا.. أنا بخير.

قالت له ذلك وهي تتظاهر بالابتسام، ثم أعادت ترتيب ثيابها بيدين مرتجفتين، وجلست مستقيمة، وأضافت:

ـ سيعود حتماً في الغد، خائراً ومنهك القوى.

وتراءت صورة ذلك المخلوق الضعيف أمام عينيها، فكادت تنفجر بالبكاء.. إلا أنها سارعت تغير الموضوع قائلة:

ـ أشكرك على الإسعافات الأولية.

أجابها وهو يهب واقفاً ليساعدها على النهوض:

ـ من المفترض بي أن أشكرك.

وفيما كان يرفعها برفق عن الأرض وجدت نفسها في مواجهة أزرار قميصه.. فعادت ذكرى مشهد حجرة الملابس إلى ذهنها.. وعبقت

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

رائحة الملابس النظيفة وبشرته الدافئة في أنفها . .

لكنها لم تجد بداً من الابتعاد بسرعة عنه لئلا يتكرر المشهد عينه، فينزع ريتش نظاراتها ويعانقها . . .

- كيف حالها؟ .

أجابت وأفكارها مشوشة:

- ماذا؟ . . رجلي . . إنها بخير .

مد يده من جديد ليساعدها على انتعال حذائها، إلا أنها أبت أن تلعب دور المرأة الضعيفة، للاستمتاع بسحر لمسته فحسب، وخطت خطوة نحو باب الحديقة .

إلا أنه أسند يده على إحدى العارضات الخشبية، قاطعاً الطريق أمامها، وسألها:

- لمَ عليك الانصراف؟ ألا يمكنني إغواءك بفنجان قهوة؟ .

- بلى . . كلا . .

ابتسم ساخراً فازداد ارتباكها:

- فهمت . . ولكنني أواجه مشكلة .

مشكلة؟ ما هي مشكلته يا ترى؟ .

- ما الذي سأفعله بطبق الفريز؟ .

كادت تقترح عليه أن يستعمله كطعم لهيكتور إلا أنها عدلت عن ذلك، وقد خشيت أن تورط نفسها في مشاكل جديدة .

- لا عليك يا ريتش . . إن كنت لا تستطيع التهامه بمفردك، فسيسعدني أن أحمله معي إلى المنزل .

- لم أكن أتوقع جواباً مماثلاً .

قال لها ذلك بلهجة خشنة، وعيناه تهمسان لها بما يضمره في سره، فثارت ثائرتها وأجابته:

- آسفة، لن تسمع مني جواباً آخر . . إذ تنتظرني أعمال كثيرة .

أبعد ريتش يده عن العارضة، وتراجع قليلاً إلى الخلف لتتمكن من المرور وقال:

- قال لي أحدهم اليوم إن العمل يستطيع الانتظار قليلاً، وينبغي علي ألاّ أسمح له بالتحكم بحياتي .

- هذا صحيح، وسأفكر في الأمر حين أجد الوقت الكافي لذلك . . لكن الوقت بدأ يداهمني الآن .

وتوقفت قليلاً عن الكلام ثم استطردت تقول:

- أشكرك على حسن ضيافتك . . أعلم جيداً أنني أقلقت راحتك .

وجدت جيني في مالوري جاراً طيباً، ولم تستطع أن تفهم سبب كره صوفي له . . فهو يتمتع بكافة الصفات المطلوبة لرجل أحلامها . . سواء من حيث خلفيته أو وسامته أو كياسته . .

لا . . صوفي تدرك جيداً ما تريد . . وهي أيضاً . . فعندما توجهت إلى النافذة الفرنسية، تنحى جانباً . . إلا أنها لم تكد تخطو خطوة واحدة حتى وجدته يسير بقربها .

كان ريتش يعاملها وكأنها أصبحت ملكاً له . . لكن لما تراه يتودد إلى فتاة مثلها، في حين أن الصهباء الفاتنة لا تطلب إلا رضاه؟ .

أحست جيني بأن مخيلتها في حالة خطيرة من الغليان، وأنها بدأت تهذي . . لكن بعد ما عانته اليوم لا يمكنه لومها مطلقاً .

دخلت إلى المطبخ لتأخذ حقيبتها، فأسرع يخرج طبق الفريز وعلبة القشدة من الثلاجة ويضعهما بين يديها، وقد قبل اقتراحها من دون تردد . . .

شعرت جيني بالإحراج وخطر لها أن تدعوه ليشاطرها طبق الفريز، إلا أنها غيرت رأيها في الحال .

إنه يتوقع منها ذلك! كم مرة لجأ إلى هذه الحيلة من قبل يا ترى؟ .

هيا يا جيني . . كوني واقعية . . فأمرك لا يهمه البتة .

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

- شكراً لك.. سألتهمها وأنا أعمل.

- لا داعي للشكر... علي أن أشكرك على العشاء اللذيذ... إن قررت المضي قدماً في هذا المشروع، فاعتبرني منذ الآن، زبوناً دائماً.

- ربما أفعل ذلك... أظنه مشروعاً مربحاً أكثر من التاريخ القديم.

- الناس لا يتوقفون أبداً عن تناول الطعام.

لعله وضع هذه النظرية نصب عينيه وهو يشق طريقه نحو الثروة.

- سأعيد لك الأطباق غداً.

لم تستطع جيني أن تبعد عن رأسها فكرة ظهوره على عتبة بابها، بصورة غير متوقعة، فأخذت يداها ترتجفان، وكادت توقع الطبق والقشدة أرضاً.

وإذ لاحظ ريتش ما تعاني منه، أخذ مفتاح شقتها، ووضعه في القفل قائلاً:

- لا تقلقي بشأن هيكتور.. سنعثر عليه حتماً.

ثم وضع يديه على كتفيها وضمها إليه في عناق سريع... وقبل أن تستجمع أفكارها لتقول شيئاً ذكياً أو تافهاً، استدار وتوجه إلى باب شقته قائلاً:

- لا تعملي حتى ساعة متأخرة يا جيني.. حاولي أن ترتاحي قليلاً.

دخلت جيني إلى الشقة، وأقفلت الباب خلفها ثم اتكأت عليه وأخذت نفساً عميقاً وهي تتمتم:

- حاولي أن تنامي قليلاً..

لمَ تنتفض كل خلية من خلايا جسمها كلما لمسها هذا الرجل، وكأنها تلقت شحنة كهربائية كبيرة؟.

اتكأ ريتش على باب شقته متذمراً.. ما الذي أصابه بحق السماء؟ فقلبه يخفق بشدة، والمشاعر الجياشة تتأجج في أحشائه! أيعقل أن

تتجلى الحقيقة فجأة أمام عينيه؟ كيف استطاع أن يقضي معظم أيام حياته، يتنقل من امرأة إلى أخرى، يشبع رغباته، من دون أن تتحرك مشاعره مثقال ذرة؟.

ما الذي قالته ويندي عن موكب لا نهاية له من النساء اللواتي جبلن من طينة واحدة؟.

كانت تبالغ حتماً، لأن الموكب بلغ نهايته، ووحدها جيني لوتور شذت عنه.. فمنذ أن وقعت عيناه عليها أدرك أنها من طينة مختلفة تماماً.

كم امرأة تتمتع بمخيلة واسعة إلى هذا الحد لتخترع قصة الهامستر التائه وتجعله يصدقها؟.

كم امرأة فتنته باحمرار خديها وسحر عينيها؟.

إنها امرأة واحدة فقط... ألم يحن الأوان بعد ليكف عن خداع نفسه؟ فهو لا يريد إلا جيني لوتور في حياته.. إذ مل النساء المتملقات ولم تعد عيناه تستمتعان إلا برؤية وجهها البريء..

كم كان يتلهف لرؤية عينيها، تبرقان كالزمرد، وهو يرفع النقاب عن خفاياها الدفينة.

خيل إليه، للحظة من اللحظات أن حلمه لم يعد بعيد المنال. إلا أن حدسه أنبأه بالتريث، إذ قرأ في عينيها شيئاً جعله يضبط نفسه.

لعل كل شبر في جسمها ينبض شوقاً إليه، لكن قلبها يأبى الإصغاء لتوسلاته، لقد جرحها شخص ما وجعلها تخاف من اطلاق العنان لأحاسيسها.

صحيح أن جيني سرقت منه الكثير، إلا أنه أرادها بكل جوارحه..

إنه إحساس جديد لم يعهده من قبل، إحساس محيّر لم يتوقعه، إحساس بالامتنان نحوها لأنها أبت الوقوع في الفخ، فلم تدعه إلى شقتها، متجاهلة أمره كلياً، ومتيحة له الفرصة ليعيد السيطرة على

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

أحاسيسه ورغباته.

لقد تسللت إلى أعماقه من دون إذن، وأثارت حواسه كلها، حتى بات عاجزاً عن التخلص منها. إنه يريدها بشدة الآن وفي هذه اللحظة.

لكنه لن يحصل الآن إلاّ على حمام بارد، وسيقضي ليلة أخرى وحيداً مع حاسوبه... كانت ويندي محقة حين قالت إنه لن يعوضه عن أمور أخرى.

***

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

٧ ـ الطريدة والصياد

لم تكذب جيني حين قالت لريتشارد مالوري إن أعمالاً كثيرة تنتظرها.. فهي ليست من النوع الذي ينتشي فرحاً كلما رماها رجل بنظرة تعكس مشاعره الجامحة.

وضعت الطبق الزجاجي البارد على خدها المتوهج.. لا.. مستحيل.. فخبرتها في هذه الأمور بسيطة، وتجربتها الوحيدة كانت كافية لتنهيها عن الاستسلام ثانية لأهوائها. غير أنها لم تكن تخشى أبداً أن يبيع مالوري القصة إلى إحدى الصحف الشعبية.. إذ تبقى شهرتهما الواسعة وأسرارهما الدفينة القاسم المشترك الوحيد بينهما.

استجمعت جيني قواها لتبتعد عن الباب، وتدخل إلى المطبخ لتضع طبق الفريز والقشدة في الثلاجة، ثم تهرع إلى مكتبها بحثاً عن ملاذ لها.

فالعمل هو الوسيلة الأفضل للتخلص من الأفكار الغريبة التي تراودها.. وما إن تستغرق في قراءة هوميروس حتى تغيب عن ذهنها صورة أصابعه الطويلة الناعمة وهي تدلك رجلها.

شغّلت جهاز الكومبيوتر، وفتحت الملف الذي كانت تعمل عليه قبل يومين لعلّ أفكارها تثبت في مكانها، بدلاً من أن تهيم على وجهها، تتخيل شعر مالوري الأسود المجعد، وفمه القاسي، الذي يلتوي قليلاً عند طرفه، كلما أراد الابتسام.

أبت جيني أن تطلق العنان لذلك الوخز اللذيذ الذي كانت تشعر به كلما التقت عيناهما.. أو كلما خطرت ذكراه على بالها..

ـ كفي عن ذلك يا جيني.

ولم يجدِ تأنيبها لنفسها نفعاً أيضاً.

أخذت نفساً عميقاً وبدأت تقرأ الملاحظات التي دونتها بغية ترتيبها.. وعبثاً حاولت أن تركز نظرها على الكلمات المدونة أمامها... إذ أخذت تتراقص أمام عينيها، فيما كان قلبها يخفق بشدة.

وبعد أن قرأت السطر عينه ثلاث مرات من دون أن تكوّن فكرة واضحة عن فحواه، ثارت ثائرتها، ودخلت إلى الحمام تغسل وجهها وعنقها بالماء البارد، علها تهدأ قليلاً.

وخطر لها أن تعد فنجاناً من الشاي لأنه منبه فعال.

وقفت تنتظر المياه لتغلي وقد أدركت أنها متنبهة جداً... لكن ما يشغلها لن يساعدها في التركيز على أبطال الأساطير الإغريقية..

فالرجل الوحيد الذي يشغل عقلها، ليس أسطورياً أو إغريقياً كما أنه ليس بطلاً..

حسناً.. عليها أن تعتمد استراتيجية مختلفة. ستتصل بصوفي علها تلهيها قليلاً وتطمئن قلبها إلى أنها استلمت الملف، لتتمكن بعدئذ من طرد ريتشارد مالوري وأقراصه، والهامستر الضائع من رأسها..

لم يرد أحد على الهاتف.. وهل كانت تتوقع فعلاً أن تجد صوفي قابعة في المنزل وحيدة، مساء الجمعة؟ ولأول مرة في حياتها، تمنت جيني لو أنها خرجت برفقتها.

تركت لها رسالة على المجيب الآلي، طلبت فيها أن تتحقق من بريدها الإلكتروني وتتصل بها في الصباح، ثم حملت فنجان الشاي الزهري اللون، تتذوقه.. غير أن طعمه لم يعجبها بقدر لونه ورائحته، فرمته جانباً وفضلت أن تملأ المغطس بالماء الساخن وتضيف إليه بضع

قطرات من زيت الخزامى العطري وتسترخي فيه قليلاً، عله يزيل عنها تعب النهار.

أعطت المياه الساخنة المعطرة مفعولاً حسناً.. فاستلقت جيني في المغطس مسترخية، فيما كان ضغط المياه على جسمها، يلطف شيئاً فشيئاً من توتره..

ارتدت جيني بيجاما قطنية فضفاضة بعد أن خرجت من الحمام، وفكت عقدة شعرها، وراحت تسرحه بقوة، علّ الدورة الدموية تستعيد عملها، فينتشر الأوكسيجين من جديد في دماغها كله.

بعدئذ، جمعت ملابسها وراحت تبحث في جيوبها قبل أن ترميها في سلة الغسيل، فوجدت القرط في قميصها الأرجواني، وأطبقت يدها عليه مبتسمة.

خبأته في مكان آمن وعادت إلى العمل على رسالتها... البطل: ما بين الحقيقة والخيال..

وتنبهت فجأة إلى أنها لم تعد متأكدة من ذلك..

* * *

وجد ريتش نفسه أمام مهمتين عاجلتين فالتقرير الذي طلبه عن جيني وصل عبر الفاكس، كما أن بريده الإلكتروني ينتظر ليفتحه.

صحيح أن هذا الأخير هو أكثر أهمية، إلا أنه لم يكن يرغب في الاطلاع عليه.. فإذا حاول أحدهم قراءة القرص، الذي سرقته جيني من دون استخدام الشيفرة، فسيرسل هذا إشارة إلى حاسوب ريتش، إذ تمت برمجته للقيام بذلك وقد استعملت أفضل التقنيات اللاسلكية الموجودة في مجال التحويلات الإلكترونية.

من المفترض أن يستلم ريتش، كافة الملفات الموجودة في حاسوب السارق، فضلاً عن الأسماء الواردة في دفتر العناوين..

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

ليتمكن بعدئذ من تحديد هوية الشخص الذي أرسلته إليه، أو الشخص الذي نسخت القرص من أجله..

فالفرصة كانت متاحة أمامها لترسله إلى من تشاء.

لم يعد ريتش يشعر بالحاجة إلى حمام بارد.. إذ تذكر فجأة أن جيني لوتور ليست امرأة بريئة، بل العدو... عدوته هو، وغايتها سرقته، وخداعه بتلك العينين الخضراوين الساحرتين.

فمنذ أن أشعل المصباح هذا الصباح ورآها أمامه، وعلامات الذنب بادية على وجهها، كأرنب صغير فاجأته مصابيح إحدى السيارات.

غير أن سرعتها في تدارك الأمور أثبتت له خداعها.. فحتى احمرار خديها زائف...

لعل اللحظة الوحيدة التي خلعت فيها قناع النفاق وبدت على طبيعتها، هي اللحظة التي أبت فيها الوقوع في فخ الحمية... ولكن ماذا لو كان يتوهم ذلك؟.

الغريب في الأمر هو أنها لا تحتاج للسرقة لتأمين أقساط دراستها.. فوالدتها جوديث لوتور ليست فقيرة، مع أنها ليست نجمة مسلسلات تلفزيونية.

أعد ريتش القهوة، وحمل فنجانه إلى المكتب ليفتح بريده الإلكتروني، حامل الأخبار السيئة.

وكم كانت دهشته عظيمة حين لم يجد سوى رسالة مستعجلة من مهندس برامج الكومبيوتر في شركته.. وما من أثر للوثائق التي كان يتوقع أن يحولها له البرنامج المعدل، منبئاً بتطفل أحدهم على أسراره.

تجاهل ريتش رسالة ماركوس، فقد ارتأى أن يؤجل الأعمال مهما كانت طارئة إلى الإثنين، وارتشف القليل من القهوة وهو يفكر في الخيارات المطروحة.

ربما لم ترسل الملف عبر الإنترنت... ربما خرجت للقاء أحدهم

في مكان قريب من هنا.. لكن الوقت كان ضيقاً ولا يسمح لها بذلك.. ماذا لو أرسلته بالبريد العادي؟ ثمة مركز بريد عند الزاوية..

رفع ريتش سماعة الهاتف الداخلي للمبنى واتصل بالبواب، يسأله:

- هل رأيت جيني لوتور تغادر المبنى هذا المساء يا مايك؟ أقصد الفتاة التي تعتني بشقة ماكبرايد؟.

- لم أرها منذ وصولي عند السادسة.. هل من مشكلة؟.

- لا.. لا داعي للقلق.

وحمل الأوراق المكدسة على آلة الفاكس وراح يقلّبها مستطرداً:

- ضاع منها شيء هذا الصباح.. وحسبتها في المنزل، لكن ما من أحد يجيب.

- إن كانت المسألة طارئة، فاسأل عنها في شقة صوفي هارينغتون. إنهما صديقتان حميمتان.

- حقاً؟.

صديقتها الحميمة تقيم في المبنى عينه!.

- أجل.. صحيح أنهما مختلفتان كثيراً، إلا أن الآنسة هارينغتون تقول إنهما كانتا ترتادان المدرسة عينها.

- ما هو رقم شقتها؟.

- سبعون!.

الشقة المجاورة لشقة كال وفيلي ماكبرايد؟ قالت جيني إنها تعرف فيلي معرفة سطحية.

- ولكن الآنسة هارينغتون لم تعد بعد.. أتريدني أن أتصل بشقة الآنسة لوتور؟.

- لا، لا تزعجها.. لا شك أنها تعمل.. سأتصل بها غداً!.

هارينغتون؟ أعاد السماعة إلى مكانها، وهو يحاول أن يتذكر لما

يبدو له الاسم مألوفاً . . فقد كان متأكداً من أنه رآه مؤخراً . . .

رفع كتفيه استهزاءً وقد تنبه إلى أنه قرأه حتماً عند مدخل المبنى . . .

فجأة، لفتت انتباهه المقالة التي أرفقت بالتقرير . . . لم تكن مختبئة خلف نظاراتها، بل كانت تنظر إلى الكاميرا، وهي تبتسم ملء فمها سعيدة تنبض بالحياة والأمل . . . قرأ العنوان العريض في أعلى المقالة : «اختبار فاشل».

تضمنت المقالة لمحة موجزة عن ظروف ولادتها، والتخمينات المختلفة عن هوية والدها الحقيقية، فضلاً عن موجز عن تصرفات والدتها الخارجة عن المألوف.

وتلا ذلك شرح مفصل عن فشل اختبار جوديث لوتور، الذي لطالما تبجحت به، فشلاً ذريعاً . . إذ لم تكن ابنتها امرأة خارقة بل مجرد طالبة عادية تذوق الأمرّين في دراستها . . واستناداً إلى صديقها الذي زود الصحيفة بالصور، تهوى الفتاة السهر، كتعويض عن الأيام التي ضاعت من عمرها معزولة عن الناس، بدلاً من الالتفات لدراستها.

إلاّ أن المعلومات التي وردت في تقرير الوكالة الأمنية، يؤكد أن ما جاء في تلك المقالة خالٍ من الصحة. فالفتاة لم تحب في حياتها إلا شاباً واحداً، كان طالباً في السنة الجامعية الأولى . . وكم سر ريتش حين أدرك أنه لم ينجح في السنة الثانية، على الرغم من أن نتائجه في السنة الأولى كانت واعدة . . لا بد أن أحدهم استاء من فعلته، وأراد أن يلقنه درساً ويجعله يدفع ثمن خيانته وأكاذيبه.

لكن الحق يقال إن تلك الصحيفة لم تكن تسعى وراء الحقيقة، بل أرادت أن توجه صفعة لجوديث لوتور، صفعة كان وقعها أشد على ابنتها.

تابع ريتش قراءة المقالة ولاحظ أنها لم تأتِ على ذكر والدها، الذي لم يكن له وجود في حياتها . . أما والدتها فكرست حياتها للدفاع عن قضاياها، وحولت ابنتها من طالبة في مدرسة خارجية إلى مدرسة داخلية، فيما انتقلت هي للتخييم مع زملائها المعارضين.

اتصل ريتش بالوكالة طالباً إجراء تحقيقات جديدة سريعة ومفصلة، ثم رمى فنجان القهوة جانباً وصب كأساً من العصير المثلج وخرج إلى الحديقة ليتأمل أنوار المدينة . . .

من الواضح أن جيني فتاة مجتهدة، هادئة، تكرس وقتها كله للدراسة . . . ولكن ما الذي دفعها لتفتيش شقته؟ .

راح ريتش يذرع الحديقة جيئة وإياباً ورائحة الخزامى تعبق في أنفه.

***

حاولت جيني أن تمارس تمارين للتنفس بغية التركيز على عملها، وتجاهل وجود ريتشارد مالوري، على بعد بضع ياردات عند الطرف الآخر من الحائط . . . وحده العمل سينقذها من هذا الاضطراب الذي تعاني منه.

جلست أمام شاشة الكومبيوتر، تحدق إليها، ثم طبعت بضع كلمات ومحتها، وعادت تحاول من جديد . . ولم تمضِ عشر دقائق حتى أطفأت الجهاز ونهضت من مكانها، وهي تدرك بأن الأمر يتطلب منها أكثر من تمارين للتنفس.

أخذت قصة لـ ليندسي دايفيس، كانت تحتفظ بها لتستمتع بقراءتها بعد أن تنجز رسالتها . . . إلا أنها لم تجدها نفعاً أيضاً.

وإذ وجدت نفسها في مأزق خطر، أشعلت جهاز التلفزيون، فلم تشاهد إلا عينين زرقاوين، تتلألآن ضحكاً . . عينان يقظتان أشعلتا فيها

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

قفزت جيني من مكانها وراحت تطوف في الشقة على غير هدى . .

كيف يجرؤ هذا الرجل على اجتياح رأسها متجاهلاً الإشارات التي تنهيه عن المرور، فيحط رحاله ويتصرف على هواه؟ .

كلا . . . هذا ليس عدلاً! .

لكن الذنب ليس ذنبه، ولا يمكنها أن تلقي اللوم على صوفي أيضاً . . فلو أصرت على الرفض، منذ البداية، لما انتهى بها الأمر إلى هذه الحالة من الارتباك . غير أن صوفي صديقتها الحميمة، وتعلم جيداً أن بإمكانها الاعتماد عليها كلما وقعت في ورطة . . والغريب في الأمر أن صوفي لم تكن من وقع في ورطة هذه المرة . . .

فهي تسعى وراء المتاعب منذ أن اجتازت عتبة منزل ريتشارد مالوري وتفاجأت به، ولم تتدارك الأمر وتعترف بالحقيقة . . لقد ارتكبت خطأ فظيعاً وتستحق كل ما أصابها . .

عبثت أصابعها بلوحة مفاتيح حاسوبها، لكنها وجدت أن التفكير في العمل مجرد مضيعة للوقت، فنزعت نظاراتها ووضعتها جانباً وراحت تضغط بإبهمها وإصبعها على أنفها بشكل موجع . .

لم تجد إلى النوم سبيلاً. ونظرت إلى ساعتها فوجدت أن الوقت متأخر جداً لتنزل إلى الشارع وتمارس رياضة العدو . . عل صورته تغيب عن ذهنها .

فتحت النافذة ليدخل منها الهواء المنعش، ووقفت تتأمل أنوار المدينة المتألقة تحت ناظريها، غير أن الأصوات المتصاعدة من أحد المقاهي المحاذية للنهر زادت من تململها .

ماذا لو احتست فنجان حليب ساخن؟ أتراه يلطف من حدة توترها؟ .

فتحت باب الثلاجة لتجد أمامها طبق الفريز الشهي، فثارت

حواسها من جديد؛ وأسرعت تأخذ حبة منه، وتغمسها في القشدة لتلتهمها بنهم . . كم هي لذيذة! .

أفرغت علبة القشدة فوق حبات الفريز، ثم حملت الطبق وخرجت إلى الحديقة حافية القدمين . . . صحيح أنها لا تملك مقصورة يابانية الطراز مثل جارها المزعج، إلا أنها وجدت كرسياً عريضاً أبيض اللون، فجلست عليه ومدت ساقيها أمامها . . .

حملت جيني حبة فريز ثم غمستها في القشدة، وأرجعت رأسها إلى الخلف، وقضمتها كلها . . وإذ سال عصير الفريز والقشدة عند طرف فمها، مدت لسانها تلعقهما وهي تضحك. وتناهى إلى مسمعها صوت أنين أو تأوه من خلف السياج . . فبدأ قلبها يتخبط بسرعة وقد أدرك أنه ريتشارد مالوري .

رفعت جيني رأسها وراحت تلعق بقايا الفريز والقشدة عن أصابعها، وهي تحاول أن تماطل قليلاً ريثما تستعيد رباطة جأشها وتنظر إليه . .

غير أن محاولاتها ذهبت كلها هباءً . . إذ تعذر عليها أن تسيطر على الرعشة التي تملكتها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها وهي تنظر إلى وجهه الصارم، وخطوط فكه القاسية، وعظام جبينه وخديه البارزة، وقد انعكست أنوار المدينة الساطعة عليها .

رفع ريتشارد يده فلفتت انتباهها الكأس المزخرفة التي قربها من شفتيه . . .

ـ أتريدين القليل منه؟ .

أصحيح ما تسمعه؟ أم أنّ الكلمات عالقة في رأسها ولا تريد سماع سواها؟ .

لم يأت ريتشارد بأيّ حركة منتظراً ردها، في حين وقفت جيني حائرة في أمرها، تتساءل عما إذا خانتها أذناها . .

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

وإذا به يتسلق السياج الفاصل، ويتوجه نحوها.. فأحست بثورة احتجاج تتأجج في حلقها، ثورة خمدت في مهدها. أيفترض بها أن تعتني بمنزل آل ماكبرايد أم أن تخربه؟.

لم يتفوّه ريتش بأي كلمة، واكتفى بوضع الكأس في يدها، والجلوس إلى جانبها على المقعد.

مد يده وأخذ حبة فريز من الطبق ثم غمسها جيداً في القشدة قبل أن يلتهمها.. فيما ارتشفت جيني جرعة كبيرة من العصير المثلج.

- عليك أن ترتشفي العصير على مهل لتستمتعي به.

أجابته على عجل:

- سآخذ بنصيحتك في المستقبل. أعدك بذلك.

أجابها بصوت أجش من دون أن تفضح تعابير وجهه ما يجول في رأسه:

- يسرني سماع ذلك... ولكنك لا تكفين عن الكذب عليّ...

إنه هيكتور.. لقد فضح أمرها في نهاية الأمر، وباتت في ورطة لا فرار منها..

- قلت لي إن أعمالاً كثيرة تنتظرك.. وها أنت تجلسين في ضوء القمر تدللين نفسك بتناول الفريز.

هل كان يتحدث عن العشاء أم عن رفضها البقاء لوقت أطول، خشية أن تنقاد وراء أهوائها؟.

- كنت مصممة على إنهاء أعمالي.

إذا خطر لها في لحظة من اللحظات أنها تمكنت من التخلص من ورطتها، فهدوء أعصابه وصوته الناعم الأجش، أثارا شكوكها، وأوحيا لها بأن موقفها ازداد خطورة.

خيل إليها أن المشهد نفسه يتكرر أمام عينيها، وكأنها لم تغادر شقته لتعود إلى منزلها. فالجو مشحون بالتوقعات، ووطأة التوتر

بينهما أشد مما كانت عليه ساعة رفع عينيه إليها، يسألها سؤالاً وجدت في الفرار أفضل رد عليه.. غير أنها لم تتمكن من الفرار بعيداً.

قالت له:

- حاولت أن أعمل، لكن طبق الفريز بالقشدة أغواني أكثر من أساطير اليونان القديمة.

- أظنك أسأت فهمي.. فأنا لا أجد أي ضير في أن تدللي نفسك..

وأخذ حبة أخرى من الفريز وغمسها في القشدة، ثم قربها منها قائلاً:

- لكنني أعترض فقط على وجودك وحدك.

أدركت جيني أنه يستخدم حيلة قديمة جداً، والتهامها حبة الفاكهة من يده يحمل معانٍ عميقة.. فغرائزها الأنثوية كلها حذّرتها من أنها ستستلم للصياد إذا ما أخذت الطعام الذي يحمله لها. كانت حركة قديمة، لكنها ابنة القرن الواحد والعشرين، قرن المساواة بين الرجل والمرأة، ولن ترضخ لتقليد بدائي مر عليه الزمن..

لكن في نور الهلال الناعم، كانت حبة الفريز تنادي أنوثتها كلها، محطمة الحواجز التي وضعتها لتقي نفسها من الأذى..

قضمت قضمة من حبة الفريز، وعيناها لا تفارقانه لحظة واحدة. فامتلأ فمها بالطعم اللذيذ، فيما طغت رائحة بشرته الدافئة على حلاوة الفاكهة.

رمى ريتش ما تبقى من حبة الفاكهة فيما ساد صمت عميق بينهما..

كانت أصوات المدينة الصاخبة تتناهى إلى مسمعها، غير أنها لم تعد تسمع إلا صوت خفقات قلبها، ولم تعد ترى إلا اللهب في عيني ريتشارد مالوري.

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

تسللت أصابعه إلى شعرها، ثم شدها إليه برفق، وعانقها عناقاً ناعماً رقيقاً بعث فيها مشاعر لم تجرؤ على تسميتها، فأحست بالنيران تكتسح شرايينها. لقد أثار فيها عناقه شغفاً لم تعرفه من قبل ولم تجرؤ على أن تحلم به. .

* * *

٨ ـ ما سرّها؟

فقد ريتش السيطرة على نفسه وتاه وسط رائحة بشرتها الدافئة وخصلات شعرها الحريرية. وعجز الجزء المنطقي من عقله، ذلك الجزء الذي لم يتوقف يوماً عن العمل، عن وقف سيل العواطف الجياشة، ففضل أن يقف على الحياد.

ما الذي دهاه يا ترى؟ فقد تغير حاله منذ أن وقعت عيناه عليها. إذ فقد السيطرة على أحاسيسه، وثارت حواسه ثورة لم يستطع أن يتداركها، فلم يعد يهمه من تكون أو ما تبغيه، وتملكه توق شديد إليها.

لا شك أن جيني لوتور تختلف عن سواها، والخطوة التي سيقدم عليها، هي خطوة نحو المجهول ومن الصعب العودة عنها. .

فهي لم تأتِ إليه معطرة بأغلى أنواع العطور، ومرتدية أبهى الملابس، ومزينة بأحلى زينة، وكأنها هدية يمكنه أن يفتحها ويستمتع بها ساعة يحلو له.

فجيني تختلف تماماً عن النساء الأخريات وليست نزوة عابرة أو لعبة جميلة يتباهى بها أمام الناس.

فعلى الرغم من ملابسها البشعة، وشعرها المشعث، وانعدام الزينة عن وجهها، بدت النساء اللواتي قابلهن في حياته، مملات أمامها. .

تشوّشت أفكار ريتش فابتعد عنها قليلاً. ما الذي يجذبه إلى هذه

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

المرأة؟ أتراه شعرها؟ أم لعلها بشرتها الناصعة البياض، الخالية من الشوائب؟.

أم تراه جسدها؟ لكنها ترتدي بيجاما قطنية لا تظهر شيئاً من مفاتنها..

كم كان يتمنى لو تثق به وتدرك جيداً أنه لن يلحق الأذى بها أبداً.

وفجأة سمع نفسه يناديها قائلاً:

ـ جيني..؟

جاء اسمها أشبه بسؤال.. فالأمور تتسارع بحيث عجز عن التحكم بها. أراد أن ينظر إلى عينيها، ويقرأ فيهما المشاعر التي تخالجها، والرغبات التي تجتاحها.. فهو يريدها أن تستسلم له بكليتها، روحاً وجسداً..

ـ أنظري إلي.

وتناهى من بعيد صوت رنين الهاتف. انصاعت لأوامره وفتحت عينيها وهي تتنهد بحسرة، فبدتا في نور القمر داكنتين براقتين.

ـ يبدو أنك محق.

ـ محق؟.

ـ أصبح الفريز أطيب بعد أن تقاسمناه..

ثم أضافت:

ـ أم لعل العصير وعناقك الحار جعلاه أشهى.

ناولته الكأس، ثم أسندت ظهرها إلى ذراع المقعد وهي تبتسم حالمة:

ـ أتسمع رنيناً؟.

وضع الكأس على الأرض قائلاً:

ـ رنين؟.

حتماً! فالأرض كلها تطلق أصواتاً مدوية من حولهما..

ـ كنت أتمنى أن تعزي السبب إلي، لكنني أظن أنه رنين الهاتف.

نظرت إليه مدهوشة، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وقالت:

ـ كنت أعلم ذلك.

ابتسم بدوره ابتسامة عريضة وأجابها:

ـ طبعاً... ألا تريدين أن تردي على الهاتف؟.

ـ أفضل البقاء هنا، آكل الفريز وأتأمل القمر.

لم تكن مستعجلة للرد على الهاتف، وبدا جلياً أنه لا ينوي مغادرة مكانه... لكنه تنبه إلى أن هذه المسائل تتطلب القليل من الروية...

نهب واقفاً على رجليه، ثم توجه إلى ركن مظلم ليخفي عنها توتره...

ـ سيبقى القمر في مكانه.

أحست بلفحة هواء باردة تجتاح المكان الذي كان ريتشارد يحتله للحظات خلت فأخذت ترتجف قائلة:

ـ يبدو أنك لا تملك فكرة واضحة عن علم الفلك... فالقمر لن ينتظر في مكانه، من أجل راحتنا.

ـ والشخص الذي يحاول الاتصال بك أيضاً.

هذا صحيح.. وتمنت أن يتوقف الهاتف عن الرنين لكنه لم يفعل، فمد يده ليساعدها على الوقوف قائلاً:

ـ إنها على الأرجح والدتك، تريد أن تتناول بعض اللازانيا، وترتاح في سريرك.

تباً! غاب عن بالها ذلك... أيعقل أن تأتي والدتها في وقت لا ترغب فيه بحضورها ولكن مهما كان مصير هذه الأمسية، فمحاولاته للتقرب منها، باءت بالفشل مرتين.. ففي المرة الأولى، انتابها خوف شديد من أن تجعل من نفسها أضحوكة أو تقع ضحية خداعه.. وها هو، الآن، متردد، وكأنه ندم على ما أقدم عليه.. لم تستطع جيني أن تدرك السبب، إلا أنها أحست بأن قراره مقصود.. لعلها تسيء الحكم

عليه، لكنها لا تخاله من النوع الذي يترك الأمور الهامة عالقة، للإجابة على الهاتف فحسب. .

يبدو أنها ليست مهمة بالنسبة إليه. . . وهي ليست غبية لتفقد رشدها بسبب رجل، لن يتذكر اسمها بعد أسبوع. . .

لم تكن جيني تحتاج لمساعدته لتقف على رجليها إلا أنها أمسكت بيده الممدودة لترضي رغبتها بلمسه مجدداً. .

وتوقف الهاتف عن الرنين لكنه لم يأخذها بين ذراعيه. . فشعرت بالأسف لأن الأمر بدأ يروق لها. .

وإذ تراجع ريتشارد خطوة الى الوراء وكأنه يتفادى الاقتراب منها ثانية، سمعت تحطم الكأس تحت قدمه.

أخفض ريتشارد رأسه ليلقي نظرة عاجلة على قدمها، وقبل أن تعي ما يحصل، حملها بين ذراعيه، وسار بها إلى الداخل. .

حملها لوقت أطول مما ينبغي، فالسجادة سميكة وما من زجاج محطم عليها، غير أن جيني لم تتذمر أبداً.

لكنه ما لبث أن وضعها على الأرض وبقي ممسكاً بها لئلا تترنح وتقع ثم قال مبتسماً:

ـ تأثير الفريز عليّ مماثل كلما أكلته.

فأسرعت ترد عليه مبررة:

ـ وأنا أيضاً. . . في الواقع، ليس تماماً.

واختفت الابتسامة عن وجهه، فيما تحولت عيناه الزرقاوان إلى ضبابيتين فتوقعت جيني الأسوأ. . .

أخذ نفساً عميقاً وقال:

ـ عديني بألاّ تتجولي حافية القدمين.

لم تجد أمامها خياراً آخر سوى أن تعده بذلك، لئلا يبقيها سجينة بين ذراعيه. . .

وإذ قرأ ردها على ملامح وجهها، تابع يقول:

ـ سأنظف الزجاج المحطم لكني قد أترك بعض الأجزاء الصغيرة.

ـ هذا صحيح!.

ثم مدت يدها تناوله طبق الفريز وأضافت:

ـ أتريد أن تأخذه معك إلى المنزل؟.

ـ ألم نتفق على أن نتشاطره؟.

ورمق الهاتف بنظرة عاجلة مضيفاً:

ـ أطلبي الرقم ١٤٧١، لتعرفي من كان يحاول الاتصال بك.

تململت جيني وقالت:

ـ إن كانت أمي، فستعاود الاتصال بعد قليل.

ـ وإن لم تكن أمك؟.

ـ أتظنه مندوب مبيعات يواجه ليلة عصيبة؟.

أم لعلها صوفي ترد على اتصالها. . فتملكها إحساس مفاجىء بالذنب وراحت ترتجف:

ـ أتشعرين بالبرد؟.

أرادت أن تقول له إنه لا علاقة لحرارة الطقس بارتجافها، لكنها عدلت عن ذلك:

ـ أنا بخير!.

أكملت وهي تتوجه نحو المطبخ:

ـ سأضع الفريز في طبقين صغيرين، كيلا نفسد مقعد الليدي ماكبرايد ونحن نأكله. .

دخلت جيني إلى المطبخ، ووزعت ما تبقى من الفريز والقشدة في طبقين صغيرين، ويداها ترتجفان، وهي تستعيد في رأسها الأفكار الغريبة التي كانت تراودها. .

كم كانت حياتها مملة قبل أن تقابل ريتشارد مالوري! وكم

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

أصبحت مثيرة بغمضة عين!.

حين عادت إلى الغرفة، وجدت ريتشارد يحدق إلى شاشة حاسوبها.. فلم يعد ارتعاشها نابعاً من الإثارة أو اللهفة بل من الخوف الشديد... إذ جلّ ما عليه أن يفعله هو تشغيل الحاسوب وتحريك «الفأرة» ليجد ما تخفيه عنه...

كم من الوقت مضى على دخولها إلى المطبخ؟ أكانت الفترة كافية ليفتح رسالة صوفي والملف المرفق بها؟.

ـ لم تكذبي عليّ.. حاولت العمل فعلاً.

ابتلعت ريقها بصعوبة، ورمت شاشة الحاسوب بنظرة عاجلة، فإذا به يقرأ الملاحظات التي دونتها.

ـ أجل.

ـ يا لها من معلومات مذهلة!

أهذا كل ما في الأمر؟ ألن يوجّه إليها اتهامات عنيفة؟.

طبعاً لا.. فمن الصعب أن يعرف ما فعلته من دون أن يتحقق من جهازها، ولم يكن لديه متسع من الوقت ليفعل ذلك.

كم من الوقت بقيت في المطبخ مستسلمة لأوهامها؟.

لا.. لا.. لا بأس بذلك... فلو اكتشف فعلتها، لانهال عليها بالأسئلة وهددها بالعقاب..

لكنه لم يفعل شيئاً، ولا مبرر لتوترها هذا..

وتنبهت في تلك اللحظة إلى أنه ينتظر ردها:

ـ ليست مذهلة إلى هذا الحد.. كنت عاجزة عن التركيز.

ـ وأنا أيضاً.. ما السبب يا ترى؟.

ـ كان يوماً عصيباً.

إنها الحقيقة فعلاً ولا يمكنها أن تنكرها، مع أنها ليست كاملة..

ومع أنها تفتقر إلى الخبرة اللازمة في هذه الأمور، إلاّ أنها تعلم

جيداً أن خيبة الأمل تشكل بداية سيئة لشتى أنواع العلاقات، وتؤدي إلى نهاية سيئة أيضاً..

غير أن الحقيقة ليست ملكها وحدها ولا يسعها أن تكشفها..

حاولت جيني أن تغير الموضوع فقالت له بمرح:

ـ أتريد كأساً أخرى من العصير؟.

يا لها من مجنونة! حري بها أن تتذرع بالإرهاق أو بالأعمال المتراكمة التي تنتظرها، لينصرف عائداً إلى شقته، فتقفل بعدئذ الأبواب ولا تفتحها ثانية..

لا شك أن رغبتها الشديدة في بقائه هي خير دليل على أنهما لن يلتقيا ثانية... فمنذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناها عليه، أدركت أنه يشكل خطراً كبيراً على راحة بالها.. إنه الحب من النظرة الأولى، كما يقول البعض..

التفت ريتشارد إليها وقال:

ـ أتريدين أن أبقى؟.

بعثت ابتسامته الساحرة دفقاً من الدفء في شرايينها.

ـ سأسكب لك كأساً أخرى.

ـ كلا.. لن أشرب العصير إلا إن انضممت إليّ.

ولف الصمت الغرفة لبضع لحظات، قبل أن يتابع قائلاً:

ـ إن كنت تريدين العمل فسأدعك وشأنك.

لم تجد سوى رداً وحيداً على كلامه، رداً كانت واثقة تمام الثقة من أنه يعرفه مسبقاً:

ـ أريد العمل يا ريتشارد.

ـ في هذه الحالة يمكننا أن نشرب العصير في وقت آخر.

واستطرد قائلاً:

ـ سأنظف الزجاج المحطم في الغد، لأتأكد من إزالته كله... لا

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

تعملي حتى ساعة متأخرة. . .

وقبل أن تتمكن من الرد عليه، تسلل عبر السياج الفاصل، ثم سمعته يقفل أبواب شقته الزجاجية ليخيم السكون على المكان.

تسمرت جيني في مكانها، وهي لا تصدق أنه وافق على اقتراحها على الفور، خلافاً لما يفعله الرجال عادةً؛ فهم يلجأون في حالات مماثلة إلى قوة إقناعهم، لحث الفتاة على أن تغير رأيها. أليس كذلك؟.

كيف حالفها الحظ؟ أيعقل ألا يكون مهتماً لأمرها؟ لعله عانقها بدافع الفضول، أو لأن الظروف سمحت له بذلك. . أو. . لكن مهما اختلفت الأسباب، لم تكن جيني البادئة. . فقد كانت مسترخية في مقعدها، حين راح يتحرش بها من خلف السياج. .

وعلى الرغم من ذلك، لم يتوانَ عن الرحيل لأنها لم تصر عليه ليبقى. . .

أيمكن أن يكون الأمر بهذه البساطة؟.

أتراه أكثر ظرفاً مما يظن الجميع، بمن فيهم صوفي؟ أو لعله شاب قديم الطراز لا يحب التمادي في الموعد الأول. .

بدت لها هذه الفكرة سخيفة. . إذ لم يمضِ على تعارفهما وقت طويل، وليس بينهما مواعيد، بل مجرد صدف، آلت كلها إلى محاولات حثيثة منها لتفادي أي تجاوز للحدود. . .

فاجأها رنين الهاتف، فقفزت مجفلة وأسرعت تجيب المتصل.

أغلق ريتشارد أبواب شقته الزجاجية بإحكام وحبس نفسه في الداخل لئلا يدنو ثانية من السياج. . فهو لم يواجه من قبل صعوبة مماثلة في التخلي عن امرأة. . لكنه لم يتخلَّ عنها، لأنه سيعود في الصباح لينظف حطام الزجاج كما وعدها، وقد تدعوه لمشاركتها طعام الفطور، ولن يرفض طلبها، وسيجد نفسه مرغماً على سؤالها عما

تفعله مسودة تقرير الشركة السنوي على حاسوبها.

صحيح أن التقرير لم يعد سرياً بعد أن نشر منذ شهرين تقريباً، إلا أنه أدرك أنها تضمر الشر منذ أن غادر الشقة.

لكن ما الذي دفعها لسرقته وإرساله عبر البريد الإلكتروني إلى صوفي هارينغتون؟. . . فجل ما كان عليها أن تفعله هو الاتصال بقسم العلاقات العامة في الشركة ليرسلوا لها نسخة عنه.

أيعقل أنها أخطأت في القرص؟ لكنه يحمل ملصقاً واضحاً، ووحده الأبله يفوته الانتباه إليه. . وجيني لوتور بعيدة كل البعد عن البلاهة!

ولفت انتباهه الضوء المنبعث من المجيب الآلي، فتذكر أنه معروف بين الأشخاص الذين يعرفونه تمام المعرفة بتفانيه في العمل وعليه ألا يخيب ظنهم فيه.

وجد ريتش رسالتين. . الأولى من ماركوس الذي يطلب منه الاتصال به. . . فسارع إلى طلب رقم المختبر وقد تذكر الرسائل التي بعثها إليه عبر البريد الإلكتروني ولم يتكبد عناء الرد عليها.

تمنى ريتش في سره ألا يجد أحداً، إلا أنه سمع صوت ماركوس عند الطرف الثاني فسأله:

- ما الذي تفعله في المكتب في هذه الساعة؟.

- ها قد اتصلت أخيراً. . . علي أن أشكرك على هذه الأمسية المرهقة. . أنهيت العمل على البرنامج وأصبح جاهزاً للتشغيل. . سأذهب الآن للاحتفال، ويمكنك أن تنضم إلينا إن لم تكن مرتبطاً.

- من يرافقك؟.

- صوفي. . إنها سكرتيرة فاشلة لكنها تحسن تحضير القهوة.

- صوفي؟.

- صوفي هارينغتون. . إنها في غاية الجمال ولا تصلح إلا

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

للزينة.. لكن ينبغي أن يحظى كل مكتب بسكرتيرة مماثلة.

ـ ولمَ لم أتعرف عليها بعد؟.

ـ لأنني بذلت قصارى جهدي لإبعادها عن دربك.. صحيح أنني حسن المظهر لكنني لست ثرياً لأنافسك.. وهي لا تكترث إلا لأمر واحد.. العمل..

ـ لا تذهب إلى أي مكان يا ماركوس.. أحضر الآنسة هارينغتون وتعالا إلى شقتي لنحتفل معاً.

ـ في الواقع..

ـ هيا، اطلب سيارة أجرة.

كان الاتصال الثاني من أخته، تشكره على الورود، وتحاول إقناعه بالمجيء لقضاء عطلة نهاية الأسبوع قائلة:

ـ أحضر معك صديقتك.. فكلما زاد عددنا، كلما استمتعنا بوقتنا أكثر.

وجد ريتش كلام شقيقته مغرياً... ما سيكون رأيها بجيني يا ترى؟.

لم يخطىء ماركوس حين قال له إن صوفي هارينغتون لا تصلح إلا للزينة.. فهي شقراء، طويلة القامة، نحيلة القد، شعرها مصفف بعناية وملابسها أنيقة، وباهظة الثمن.. وبدا جلياً أن ماركوس لن يتمكن من تأمين متطلباتها إلا إن رقي إلى منصب مدير.

وتذكر ريتش في تلك اللحظة قول بواب المبنى إن ما من قواسم مشتركة بينها وبين جيني، ووافقه الرأي في سره.

ـ تفضلي بالدخول يا صوفي.

واعترض طريق ماركوس الذي أراد اللحاق بها قائلاً:

ـ ثمة متجر لبيع البيتزا على مقربة من هنا.

ـ ماذا؟.

ـ خذ وقتك كله.

تجاهل نظرات السخط في عيني ماركوس، وأقفل الباب في وجهه، ثم قاد صوفي إلى غرفة الجلوس وقال لها:

ـ علمت أننا جاران.

وعندما اتسعت عيناها قلقاً، أضاف:

ـ أرجوك خذي راحتك...

ارتمت صوفي في الكرسي ذي الذراعين وقد بدا التوتر واضحاً على ملامح وجهها.

ـ هل أحضر لك شراباً؟.

ـ كوب ماء لو سمحت.

أحضر لها ريتش كوباً من الماء ثم جلس قبالتها وقال:

ـ أظن أن الوقت يداهمنا.

فلو كان مكان ماركوس، لرشا العامل من محل البيتزا، ليتجاوز الصف الطويل، ويعود بالبيتزا سريعاً.

ـ أتريدين أن تصعبي الأمور على نفسك أم تطلعيني على ما يجري بصراحة؟.

خلافاً لجيني، لم تحمر صوفي خجلاً بل شحب وجهها وقالت:

ـ تباً!.

وإذ لم يتفوه بكلمة أضافت:

ـ اسمع، مهما حصل، فجيني ليست ملامة.

ـ هلا قلت لي ما كان يفترض بها أن تفعل؟.

ـ لا شيء.

ـ يستحسن أن تجدي جواباً أفضل وإلاّ سأتصل بالشرطة.

فقالت مهمهمة:

ـ أرجوك لا تفعل وإلا قتلتني جيني.

www.liilas.com/vb3
منتديات ليلاس الثقافية

- أشك في ذلك.

وعادت إلى ذهنه صورة شفتها السفلى المرتجفة، وهي تحملق فيه، واقفاً قرب حاسوبها، وتحاول رسم ابتسامة على ثغرها:

- لا أظنها تتمتع بغريزة القتل.

رفعت عينيها إليه، وسألته:

- هل قابلتها؟ ألم تقل لك شيئاً؟.

- أنا من يطرح الأسئلة هنا يا صوفي وأنتِ من يفترض به الإجابة عنها.. وأود أن أسمع القصة كاملة قبل أن يعود ماركوس حاملاً لك العشاء.

فإذا حاول أن يبعده ثانية، متذرعاً بحجة أخرى، فلن يتوانى هذه المرة عن لكمه على عينه.

- يمكنك بعدئذ أن تحملي عشاءك إلى شقتك في الأسفل، وتحتفلا معاً على راحتكما.

نظرت إليه صوفي لثوانٍ قليلة ثم قررت بعدها أن تتكلم:

- كنت في مكتب ويندي حين اتصلت شقيقتك لتدعوك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في منزلها، بمناسبة عيد زواجها.

لم ينبس ريتش ببنت شفة.

- قالت ويندي إنك لن تذهب، لأنك لا تحب اللقاءات العائلية... هي من قال ذلك وليس أنا..

بقي ريتش صامتاً يصغي إليها:

- قالت إنك لا تحب الخروج إلا برفقة نساء لا يشكلنَ أي خطر.. نساء لا يمكنك أن تقع في حبهنّ.

- ماذا قالت لك أيضاً؟.

- إسمع، لا أريد أن أسبب لها مشكلة.. فقد كانت حزينة جداً.

- إذن؟.

- قالت إنك تحتاج إلى فتاة طيبة قديمة الطراز.. فتاة لا توازي عارضات الأزياء اللواتي تواعدهنّ جمالاً.. فخطر لي أن جيني تفي بالشروط المطلوبة..

- طيبة، قديمة الطراز.

- أجل.

- ولا يمكنها أن تبلغ المستوى المطلوب مهما بذلت من جهد.

ابتلعت صوفي ريقها:

- أجل... كلا..

ثم استرخت ملامح وجهها وأضافت:

- يسرني أنك أدركت ذلك بهذه السرعة... فقد ذاقت جيني الأمرّين مع والدتها المجنونة.. فمن يخطر في باله أن يسمي ابنته...

- أفيجينا؟.

- أخبرتك بذلك؟.

وأضاءت ابتسامة عذبة وجه صوفي هارينغتون وأضافت:

- أخبرتك عن اسمها المضحك.

- أظنها حاولت التأثير فيّ باستقامتها.. ولكنني قبضت عليها تفتش أدراجي، بحثاً عن مفتاح مكتبي، لتسرق قرص كومبيوتر!.

- لا! لم يكن الهدف من إرسالها إلى شقتك، سرقة القرص.. اخترعت تلك القصة لإقناعها فحسب.. فأنت معروف بحرصك الشديد...

وترددت قليلاً ثم سألته:

- هل نجحت في القيام بذلك؟.

- مع بعض الإرشادات إلى الطريق الصحيح.. كنت أريد أن أعرف الرأس المدبر.

- أنا الرأس المدبر... أردتها أن تقابلك وتتحدث إليك.

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

- ألم يكن من الأفضل أن تنتظري حتى نلتقي في المصعد؟.

- أرجوك! إنها تختبىء خلف تلك النظارات التي تصر على وضعها.. وبما أنها تفتقر إلى القوام المشوق، كنت واثقة من أنك لن ترمقها بنظرة.

- ربما!.

- قطعاً...

قطبت صوفي جبينها وسألته:

- لِمَ لم تخبرني أنها قابلتك هذا الصباح؟ ما الذي حصل؟.

سؤال وجيه.. ما الذي حصل؟ التقى فتاة عيناها رماديتان، استحوذت على عقله، ولم يعد قادراً على طرد صورتها من ذهنه.

أجابها بسؤال آخر:

- قولي لي يا صوفي، هل تربي جيني هامستر؟.

- هامستر؟.

كان ردها هذا كافياً، ولكنه أخذ يراقبها وهي تحاول أن تبحث عن الكلمات الملائمة لتنقذ موقف صديقتها.

- وحدها الحقيقة تنقذك.

- ممّ؟.

رفع حاجبيه استغراباً.

- كلا.. لا تملك جيني هامستر.

- شكراً.

ونهض رينش من مكانه وسألها:

- كيف أقنعتها بالقيام بذلك؟.

- حين كنا في المدرسة، ضبطوا دفتر يومياتي بحوزتي في الصف.. وخشيت أن تقرأه مديرة المدرسة وتطردني.. فتطوعت جيني لتتسلل من نافذة أمينة سر المدرسة وتعيد إليّ دفتر اليوميات،

فيما أبقى أنا في الملعب وسط التلاميذ.

وهزت كتفيها لامبالية وأضافت:

- استبدلت اليوم دفتر اليوميات بالقرص.

- وبدلاً من الطرد من المدرسة، أرادت هذه المرة أن تنقذ وظيفتك.. هل الوظيفة مهمة إلى هذا الحد بالنسبة إليك؟.

- أرجوك! لا أظن أن الوظيفة قد تكون مهمة إلى هذا الحد! فلو أخفقت فعلاً في عملي لأخبرت ماركوس.. مع أنه لا يعهد إلي بأيّ مهام ذي شأن..

وتوقفت عن الكلام وكأنها أدركت بأنها لا تقدم أي خدمات لماركوس ثم استطردت قائلة:

- تطوعت جيني لمساعدتي قبل أن تعرف شيئاً، وقالت إن المسألة سهلة جداً لأن مدبرة المنزل تترك النوافذ مفتوحة لتهوية المكان.. غير أنني لم أجد بدّاً من المبالغة فقلت لها إنك سافل.

قطبت صوفي وجهها من الإحراج وأضافت:

- أعتذر لذلك..

- لا داعي للاعتذار، فأنت محقة نوعاً ما، لأنني سافل حقاً.. وإن كان عملك مهماً إلى هذا الحد، فإياك أن تطلعي جيني على الحديث الذي دار بيننا.

رن جرس الباب فهبت واقفة، وقالت:

- لن أنمل يا ريتشارد مالوري.. طالما أنك لن تلحق الأذى بصديقتي الحميمة، فلن أخبر أحداً عن طيبة قلبك.

جل ما عليه أن يفعله الآن، هو أن يجد طريقة لحث جيني على إخباره الحقيقة بملء إرادتها.

***

٩ ـ الحب هو المتهم

منذ لحظة وصولها وجوديث لونور تتكلم بلا انقطاع عن حملتها الأخيرة، فيما انهمكت جيني في تحضير عشاء خفيف، مكتفية بالرد عليها بعبارات مقتضبة مثل: «حقاً؟»، أو «هذا مذهل»، أو «قطعاً»، كلما دعت الحاجة لذلك، ومطلقة العنان لأفكارها لتهيم على هواها.

ويبدو أنها كانت تبلي حسناً، إذ قالت لها والدتها:

ـ يسرني أن أجدك متحمسة لهذا الموضوع، لأنني سأؤلف لجنة لإدارة هذه الحملة وأريدك أن تشاركي فيها.

ماذا؟.

ـ ليس لدي متسع من الوقت يا أمي، فرسالة الدكتوراه..

ـ لن تعود رسالتك بأي منفعة على العالم... حان الوقت لتستغلي إرثك الجيني وتصنعي المعجزات..

وتوقفت فجأة عن الكلام، وقد هزت كلماتها جيني، وانتشلتها من أحلام اليقظة، وأعادتها من عالم الفريز والقشدة إلى قساوة عالم الواقع.

ـ ما هو إرثي الجيني؟.

ـ الثقافة، والإيمان بالمساواة..

ـ هذه ورثتها عنك..

لم تكن مستعدة لسماع المزيد من حجج والدتها، ووجدت نفسها

تصر على معرفة الحقيقة كاملة.

ـ أريد أن أعرف ما الذي أورثني إياه ذاك الوالد الذي قمت باختياره بعناية لإنجابي كاختبار..

ـ لا تتكلمي بفظاظة يا جيني.

ثم نظرت إلى ساعة يدها ونهضت مضيفة:

ـ أريد أن أخلد إلى النوم.. علي أن أسافر غداً باكراً إلى بروكسيل.. لا تقلقي فلن أوقظك.

ولسعت الحمرة خديها، حمرة لم ترها جيني من قبل:

ـ لم تكن المسألة مسألة اختبار، أليس كذلك؟.

ووقفت تعترض طريق والدتها لتمنعها من الفرار...

فالتقت عيونهما بتحدٍ لبرهة من الزمن، انهارت بعدها جوديث لونور وارتمت في مقعدها قائلة:

ـ كلا يا جيني.. حملت بك على الطريقة التقليدية وانجرفت وراء أهوائي من دون أن أعي العواقب.

ارتبكت جيني وسألتها:

ـ لمَ أخفيت الأمر؟ لمَ ادعيت..؟

وتجلت الحقيقة فجأة أمام ناظريها وأضافت:

ـ فهمت.. كان متزوجاً.

وأكد صمت والدتها المطبق شكوكها:

ـ واخترعت قصة الاختبار لحمايته.

ـ لا يا جيني، لم يكن أنانياً إلى هذا الحد ولكن زوجته كانت مقعدة، وتحتاج إليه أكثر مني.

صعقتها الحقيقة فجلست على الكرسي لاهثة... إنه جورج بلينغهام، عالم الفيزياء الشهير الذي تعرضت زوجته لحادث سير، ففقدت جنينها وأصبحت مقعدة..

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

منذ نعومة أظافرها، وهما يعاملانها بحنان بالغ، ويحيطانها بعنايتهما كلما غابت والدتها في إحدى حملاتها الشهيرة. . .

أجل. . إنه والدها. . ولا بد أن زوجته على علم بالأمر. .

ابتسمت والدتها ابتسامة ساخرة وقالت:

ـ في الواقع، كان ذلك بمثابة خطوة عملاقة في حياتي المهنية. . . فما الفائدة التي يمكن أن تجنيها امرأة مثلي، تدعو إلى المساواة بين الجنسين، من حب من النظرة الأولى؟.

ـ حب من النظرة الأولى؟.

ـ أجل. . التقت عيوننا وسط حشد من الناس، فأخذت الموسيقى الصاخبة تصدح في رأسي، والألعاب النارية تتطاير من حولي. . ولم يمض وقت طويل حتى وجدت نفسي برفقته.

أحست جيني بجفاف في حلقها. . .

ـ وقد اخترت لي اسماً يوحي باشمئزازك من الرجال، أليس كذلك؟.

ـ آسفة يا جيني.

آسفة؟ نظرت جيني إلى والدتها وقالت:

ـ لم أسمعك يوماً تعتذرين عن شيء فعلته!.

ـ لم أدرك خطأي إلا يوم أرسلتك بعيداً. . لا يمكنك أن تتصوري الأسى الذي شعرت به حين أرسلتك إلى المدرسة لأبعدك عن الأنظار الفضولية. . . حاولت أن أجعلك غير مرئية، لكن ذاكرة رجال الصحافة قوية وصبرهم طويل. . وهذه الأمور تعود دوماً لتطاردك. . كان علي أن أطلعك على الحقيقة عندما ظهرت تلك المقالة في الصحيفة، ولكن جورج رأى أن ذلك قد يزيد الأمر سوءً.

ـ لا بد أنه قال ذلك.

وإذ أدركت أنها تسرعت أضافت:

ـ آسفة. . أظنه كان محقاً. . أما زلت تحبينه؟.

يا له من سؤال سخيف! من الواضح أنها لا تزال تحبه!.

ـ أما زلت. .

وتوقفت عن الكلام وقد تبين لها أنها لا تبغي سماع ردها عن هذا السؤال غير أن والدتها أجابت قائلة:

ـ كلا. . أراد أن يكون له دور في حياتك، ولن يتمكن من ذلك إن. .

ابتلعت ريقها وأضافت:

ـ لم نشأ أن نلحق الأذى بلوسي. . . فهي امرأة طيبة وكريمة ومتفهمة وتستحق أن نعاملها باحترام. . آسفة يا جيني.

نهضت جيني من مكانها وعانقت والدتها قائلة:

ـ لا داعي للأسف. . يسرني أنك عرفت الحب وإن لفترة قصيرة.

***

ـ جيني؟ هل أنت مستيقظة؟

لم تذق جيني طعم النوم. . فقد قضت الليل تسترجع ذكريات الطفولة والأوقات التي قضتها برفقة جورج. . إذ كان يحضر مع زوجته حفلات المدرسة، عوضاً عن والدتها الدائمة الترحال، ويجلب لها هدايا مميزة. . . دراجتها الأولى. . عقد اللؤلؤ. .

منذ صغرها وهي تخال نفسها مختلفة عن سواها، وها هي اليوم تكتشف بأنها إنسانة طبيعية، وثمرة علاقة حب عاصفة. .

التفتت إلى والدتها مبتسمة وقالت:

ـ كنت على وشك النهوض لأعد لك القهوة.

ـ لا داعي لذلك. . سأتناول الفطور في المطار.

ولم تخفَ عن جيني الهالات السوداء تحت عينيها، وكأنه لم

www.liilas.com منتديات ليلاس الثقافية

يغمض لها جفن طوال الليل أيضاً . .

ـ أردت أن أخبرك أنني رأيت رجلاً في الحديقة .

إنه ريتشارد . . . واتسعت عيناها بهجة وأحست بوخز خفيف في أنحاء جسمها كافة .

ـ أظنه كان يحمل مكنسة .

ـ لا بد أنه رجل جديد . .

وأخفت ابتسامتها لأن والدتها، المناصرة الأولى للمساواة بين الجنسين، سيروق لها ذلك حتماً .

ـ من هو؟ وما الذي يفعله في الحديقة، في الساعة السادسة صباحاً! .

أراحت رأسها على الوسادة وقد أدركت مقصده . . . فريتشارد مالوري جاء ينظف حطام الزجاج فجراً، ليتفادى تكرار ما حصل البارحة . . . غير أنها لا تستطيع أن تلومه . . كم مرة عليك أن تمتنع عن قول ما تريده أو إظهار ما تشعر به، حتى لا تُسأل مجدداً؟ ربما عليها أن تسأل والدتها عن رأيها في الموضوع .

ـ لا بد أنه البستاني .

ـ لا يبدو لي كذلك .

كانت جيني تعرف شكله عن ظهر قلب، ولون عينيه . . والتواء فمه عندما يبتسم . . . وذقنه . . .

ـ إننا في المدينة . . والبستاني هنا لا يشبه عمّال الريف .

ـ لا داعي للمزاح يا جيني .

من قال لها إنها تشعر برغبة في المزاح عند الساعة السادسة صباحاً؟ .

ـ ألا يجدر بك الانصراف؟ ستفوتك الطائرة! .

ـ أجل . أتصل بك عند عودتي لنتحدث في مسألة اللجنة .

همهمت جيني استنكاراً فيما صفقت والدتها باب الغرفة خلفها . .

ما الفائدة من البقاء في سريرها؟ فريتشارد مالوري ينظف حديقتها، وهي مستلقية في سريرها تنتظر أن تسمع نقراً على النافذة . . .

ولكن أيعقل أن تخدع نفسها لتصدق بأنه قد ينقر على زجاج نافذتها؟ . .

مغفلة . . لن يحصل ذلك أبداً . . فلو أراد رؤيتها لجاء في وقت لاحق ليتناولا الفطور معاً . .

طرحت أغطية السرير جانباً، وارتدت ملابس مريحة وحذاءً رياضياً، وخرجت تتنزه في الحديقة العامة المجاورة، قبل أن يزدحم السير ويلوث دخان السيارات الهواء . .

لن تبقى في غرفتها كامرأة مثيرة للشفقة، تنتظر رجل أحلامها ليدعو نفسه لتناول طعام الفطور برفقتها . .

كانت نزهتها طويلة ومتعبة، فتوقفت في طريق العودة لشراء القهوة وكعكاً محلى. حملت الكيس بين أسنانها، ووقفت أمام باب شقتها تبحث عن المفتاح . .

وإذا بها تسمع باب الشقة المقابلة يُفتح . .

لا . . ليس الآن . . هذا ليس عدلاً . . قضت في هذه الشقة أكثر من أسبوع، ولم تلمح جارها مرة واحدة . . وها هي اليوم تلتقيه صدفة، وحالتها يرثى لها . .

أغمضت عينيها وتضرعت إلى الله ليلهمه بأن الوقت غير مناسب، فيتابع طريقه من دون أن يحاول التحدث إليها . .

إلاّ أنه ليس فظاً إلى هذا الحد، ولا بد أن يلقي عليها التحية، لذا ستحاول ألا تطيل الحديث:

ـ مرحباً. هل تحتاجين للمساعدة؟ .

فتحت عينيها فإذا به واقفاً قربها وهو يحمل في يده علبة من

www.liilas.com/vb3
منتديات ليلاس الثقافية

الكرتون.

لم تستطع جيني أن تتفوه بكلمة والكيس بين أسنانها. . خيّل إليها أنه سينتزع الكيس من بين أسنانها، ويحرر يديها وفمها، لكنه مدّ يده وتناول من يدها المفتاح. .

ومن دون أن يرفع عينيه عنها، دسّ المفتاح في موضعه وهو يبذل جهده لمماطلتها.

هذا ليس عدلاً. . إذ يكفي أن ينظر إليها أو يلمسها لتتحول إلى هلام رخو. وها هي ترتجف عند كل لمسة، فيما وقف هو أمامها متماسكاً، مسيطراً على نفسه.

قال لها:

ـ كانت نزهتك طويلة.

وأوحت لها نبرة صوته أنه لا يقصد بكلامه الساعة الأخيرة التي قضتها تنهب الإسفلت نهباً بل قصد أمراً آخر مختلفاً كلياً. . .

ـ رأتك والدتي تنظف الزجاج عند الفجر.

وإذ اجتاحتها حاجة ملحة لرؤية تلك الابتسامة العريضة تختفي عن وجهه، أضافت:

ـ قلت لها إنك البستاني.

ـ أعلم ذلك. . قالت لي إن السياج وسخ وعلي أن أنظفه.

ـ حقاً؟ مستحيل. . إنها غريبة الأطوار. . ليتك طلبت منها أن تغرب عن وجهك!

ـ على العكس، قلت لها إنني سأهتم بالأمر في الحال.

وانحنى احتراماً مضيفاً:

ـ سيدتي. .

ثم أخذ الكيس منها ليرى ما في داخله قبل أن يتابع كلامه:

ـ لم أطلعها على ما حصل البارحة. . وأظن أنني أستحق كعكة

محلاة. . كعكة محلاة بالتفاح. . إنها المفضلة لدي. .

أجابته متجاهلة محاولاته الخبيثة لإزعاجها:

ـ لم يحصل شيء البارحة.

نظر إليها بطرف عينه وقال:

ـ إن لم يعنِ لك ذلك شيئاً، فلا بد أن حياتك مليئة بالإثارة.

ها هي تبحث مجدداً عن طريقة للفرار. . فقد قضت حياتها كلها هاربة من مكان إلى آخر. ويوم حاولت الاستقرار، تعرضت للخيانة. . لكن ريتشارد مالوري لن يغازلها ثم يبيع بعدها قصتهما للصحف. .

ـ في الواقع، كانت ليلة البارحة مميّزة بالنسبة إلي.

ـ وبالنسبة إليّ أيضاً. . أيمكنني أن أحصل على الكعكة المحلاة؟

ـ تفضل.

واستدارت بسرعة وتوجهت إلى المطبخ فأسرع يرفع علبة الكرتون التي كان يحملها عن الأرض ويلحق بها.

قالت له، في محاولة منها لتبدو على طبيعتها:

ـ أحسنتُ صنيعاً حين أحضرت فنجاناً كبيراً من القهوة. . هلاّ سكبتها في فنجانين، فيما أبدل ملابسي؟.

ـ لا تتأخري يا جيني!

استدارت جيني لتنظر إليه، ثم أخفضت عينيها إلى علبة الكرتون التي يحملها وقد أثارت فجأة فضولها. . ما الذي يحمله في العلبة؟

ـ لم يكن عليك أن تعبد لي الأطباق بهذه السرعة.

لا بدّ أنها أطباقها. . .

ـ لم أفعل.

ـ آه!

ـ ستبرد القهوة!.

أخذت جيني وقتها في الحمام. نغسلت شعرها وجففته، فيما

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

كانت أفكارها مشوشة، وقد تملكها القلق حيال ما يضمره لها. . وما يحمله في العلبة.

وقررت في نهاية المطاف أن تتهيأ لأيّ طارىء فارتدت سروالاً أسود، وقميصاً خضراء فضفاضة من الكتّان. . .

أدركت في قرارة نفسها أنها لن تتمكن من احتمال الساعة المقبلة إلا إن بدت في أبهى حلة. .

وإذ خطر لها أن تضع القليل من الزينة، عادت وبدلت رأيها خشية أن تفضح الزينة أمرها. .

وجدت ريتشارد جالساً إلى طاولة المطبخ يلعق السكر عن أصابعه:

ـ كنت سألحق بك لأتأكد من أن. .

وتوقف فجأة عن الكلام وكأنه نسي ما يريد قوله، ثم استطرد قائلاً:

ـ المياه لم تجرفك. . تعالي وكلي واحدة قبل أن ألتهمها كلها.

ـ أشكرك، سأكتفي بشرب القهوة.

كانت علبة الكرتون موضوعة على الطاولة، كأنها عبوة ناسفة على وشك أن تنفجر.

ـ ما هذا؟.

ـ ألقي نظرة. .

فتحت غطاء العلبة قليلاً، فسمعت حفيفاً في داخلها. . حفيف جعلها تطلق صرخة خافتة وقد أحست بموجة من الحرارة تنبعث من أحشائها وتجتاح عنقها، لتعود فتتراجع إلى مهدها. .

رأت جيني في العلبة عينين سوداوين وسط كتلة من الفراء. .

ـ أهذا؟. .

ـ إنه هامستر صغير وبطولي. كان ضائعاً وقد عاد الآن إلى منزله.

قضم قضمة من الكعكة المحلاة وأضاف:

ـ هل يحب هيكتور الكعك المحلى؟.

ابتلعت جيني ريقها بصعوبة. . لقد عرف ريتشارد أنها كذبت عليه، ولم يجد طريقة أفضل ليبلغها الرسالة. .

ـ هذا ليس هيكتور!.

ـ حقاً؟ وهل يعقل أن يتسلل فأران إلى منزلي، في الوقت عينه؟.

وعوضاً عن الرد عليه، فتحت جيني غطاء العلبة ثانية، فتفاجأت بعينين سوداوين تحدقان إليها، ثم تختفيان. .

ـ من أين أحضرته يا ريتشارد؟.

ـ أتريدين الحقيقة؟.

ـ أجل.

ـ من متجر الحيوانات الأليفة. . ولم أجد لديهم هامستر ذكراً، فأحضرت أنثى. . حان دورك. .

ـ أجل. . حان دوري. . إنني آسفة يا ريتشارد.

لم ينبس ببنت شفة.

ـ سأخبرك القصة كلها لكن دعني أولاً أجري اتصالاً هاتفياً.

وقامت من مكانها، وتوجهت إلى غرفة الجلوس لتتصل بصوفي وتعلمها أن اللعبة انتهت.

غير أنه أسرع يمسك بذراعها قائلاً:

ـ لا تذهبي.

وأخرج من جيبه هاتفاً خلوياً صغيراً وأعطاها إياه مضيفاً:

ـ لا أريد المزيد من الأسرار.

ـ كلا.

كانت أصابعها ترتجف وهي تطلب رقم صوفي. . وشعرت كأن دهراً مر قبل أن تسمع صوتها الناعس على الطرف الآخر من الخط

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

- لدي مشكلة يا صوفي. . في الواقع، أظن أن كلينا في ورطة.

لم تفارق عيناها عيني ريتشارد للحظة واحدة.

- أظن أنهم سيقبضون علي بتهمة الخلع والدخول عنوة.

- ماذا؟ لا. . هل ريتشارد مالوري برفقتك؟.

- أجل، اسمعي! أظن أنني. .

- لقد أبليت حسناً. . إصغي إليّ جيداً. .

- أرجوك يا صوفي. . المسألة هامة!.

كانت جيني تصغي إلى كلام صوفي واهتمامها كله مسلط على ريتشارد، الذي حاول أن يقرأ تعابير وجهها:

- المسألة بالغة الأهمية. .

- أريدك أن تقفلي الخط، وتتوجهي نحوه ثم تضعي يديك حول عنقه وتعانقيه. . فهمت؟.

- ماذا؟.

- ثقي بي يا عزيزتي. . . صحيح أنك صاحبة ثقافة عالية، ولكنني أكثر خبرة منك في الرجال.

- أنت لا تفهمين يا صوفي.

- بلى. . لذا لا يجدر بك أن تضيعي وقتك على الهاتف معي. . وعندما تجدين متسعاً من الوقت، أريد سماع قصة الهامستر كاملة.

وإذ همت بسؤالها عما تعرفه عن هيكتور، أقفلت صوفي الخط في وجهها. .

لف المكان صمت عميق، حاولت جيني أن تتذكر خلاله كلام صوفي، فيما حافظ ريتشارد على هدوئه، مترقباً ما لديها لتقوله، وقد خلا وجهه من أي تعبير يفصح عن مشاعره. .

- اكتشفت الحقيقة، أليس كذلك؟ علمت أنني اخترعت قصة هيكتور؟.

- أردت أن أسمع القصة منك.

- وستفعل.

أخذ قلبها يخفق بشدة بين ضلوعها وهي تتابع قائلة:

- ولكن ليس الآن.

وبدلاً من أن تميل نحوه من فوق الطاولة، وضعت الهاتف جانباً واستدارت حولها لتقف قبالته. . ثم مدت يدها تمسح شيئاً من السكر علق على أنفه. . فأفلتت منه ضحكة خافتة، وجذبها إليه، وعانقها. استسلمت لسحر عناقه، ودنت منه تشجعه على احتضانها أكثر، واضعة ثقتها كلها فيه. . وبعد مرور وقت طويل، أرجعت رأسها إلى الخلف، ونظرت إليه وقالت:

- هل لاحظت أن تأثير الكعك المحلى عليك مماثل لتأثير الفريز؟

أجابها بصوت ناعم أجش:

- ما من شيء يترك علي تأثيراً مماثلاً سواك يا جيني.

فهمست في أذنه:

- وأنت أيضاً.

- أريد أن أطرح عليك سؤالاً أخيراً.

تسمرت جيني في مكانها تنتظر سؤاله.

- ما رأيك بقضاء عطلة نهاية الأسبوع في (غلوسيسترشاير)؟ إنه عيد زواج شقيقتي، وسيجتمع أفراد العائلة كلهم، وأريدك أن تقابليهم.

- أنا؟.

وتذكرت فجأة ليليان.

- ألن يخيب ظنهم؟ أخالهم يتوقعون فتاة أكثر جاذبية.

- إنهم لا يتوقعون أحداً. . لأنني لا أصطحب صديقاتي إلى المنزل. . سأخالف عاداتي من أجلك يا جيني فقط. . فهل تأتين

منتديات ليلاس الثقافية www.liilas.com/vb3

معي؟.

ـ نعم.. أودّ ذلك.

***

صحيح أن زيجات الأثرياء تشكل سبقاً صحفياً، لكن زواج ريتشارد مالوري من فتاة ماضيها غامض، أثار فضول الصحافة إلى أبعد حد، واحتشد الآلاف منهم أمام الكنيسة التي عقد فيها زفاف ريتشارد مالوري وأفيجينا لوتور بعد مرور ثلاثة أشهر على تعارفهما..

لم يكن حفل زفافهما مختلفاً عن حفلات الزفاف العائلية الأخرى..

فها هي شقيقته تجلس في المقاعد الأمامية، وقلبها ينبض فرحاً لأن شقيقها قرر أخيراً الزواج..

أمسكت ويندي يد زوجها الجالس إلى جانبها وقالت له:

ـ يا للروعة! إنها فتاة عادية إلى حد بعيد!

ـ لا أظن أن ريتشارد يوافقك الرأي.. ولكن كما قال الجميع حين تزوجت بك، عين الحب عمياء.

فأسرعت تقرصه في ركبته وترفع رأسها معتدة بنفسها..

وها هو ماركوس الذي عين مؤخراً مديراً في الشركة، يلعب دور الإشبين على مضض فهو دائم الانشغال ولا يحب الحياة الاجتماعية..

أما جوديث لوتور فكانت تعيش صراعاً مريراً بين حقيقتين مطلقتين.. الأولى حقيقة القدرات الهائلة التي تتمتع بها ابنتها، ولم تستغلها لتحصل على ما تريده، والحقيقة الثانية هي الخطوة التي ستقدم عليها..

***

ـ هيا يا صوفي وإلا سأتأخر..

ـ من المفترض بك أن تتأخري..

وسوت طرحة جيني وتابعت تقول:

ـ عليك أن تلعبي بأعصابه ليخال بأنك لن تحضري..

ـ ولكنه يعلم جيداً أنني لن أخذله أبداً.

ـ من كان يعتقد أن الأمر سينتهي بزواجكما؟ فالجميع يعلم أن ريتشارد مالوري لا يتخلى عن حريته.

ـ يؤسفني أن أخيب ظنك!.

عانقتها صوفي قائلة:

ـ لم يخب ظني.. إنني سعيدة من أجلك، وأريدك أن تعديني بأن أكون عرابة أول طفل تنجبانه.

ـ لك ما تريدين يا صوفي.

ـ رباه! أنظري إلى الساعة.. علي أن أسرع.

ـ قال ريتشارد إنك استقلت من الوظيفة.

ـ حاولت جهدي يا عزيزتي ولكنني لا أصلح لأعمال السكرتاريا.. فماركوس يحتاج إلى شخص يستطيع الاعتماد عليه، وأنا لست الشخص المطلوب.

ـ ولكنه معجب بك.

ـ هذا صحيح... إنه إنسان لطيف، إلا أنني لا أتخيل نفسي أستيقظ كل صباح لأجده قربي..

لم تحاول جيني أن تلح عليها..

ـ ما الذي ستفعلينه؟

ـ إن لم تذهبي في الحال يا صوفي، فسنصل قبلك.

والتفتت إلى جورج باكنغهام الذي كان يقف إلى جانبها مرتدياً بزة رمادية أنيقة، ينتظر أن يؤدي واجبه كصديق قديم للعائلة، ويسلم

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3

العروس لعريسها.

ـ سأذهب في الحال.

وخرجت تتبختر في فستانها الحريري الخمري اللون.

قال لها بعد أن أصبحا وحيدين:

ـ تبدين جميلة يا جيني.. أحمل لك هدية.. هدية الأب لابنته في يوم عرسها.

واغرورقت عيناها بالدموع وهي تسمعه للمرة الأولى يتفوه بهذه الكلمة..

فتح جورج العلبة التي كان يحملها، فوقعت عيناها على عقد رائع من اللؤلؤ والماس.

ـ إنه لوالدتي.. وأصرت لوسي على أن أهديك إياه.. إنها على علم بالأمر يا جيني وهي تحبك بقدر حبي لك.

علقت الكلمات في حلقها وعجزت عن الكلام. فراحت تومىء له بيدها، ليثبت العقد على عنقها..

***

عيل صبر ريتشارد وهو ينتظر عروسه.. فراح يلتفت إلى الخلف كلما سمع صوتاً أو يختلس النظر إلى ساعة يده بين اللحظة والأخرى..

وفجأة، تغيرت الألحان الموسيقية، فأدار رأسه ليجد جيني متوجهة نحوه، تتأبط ذراع جورج.

حبس ريتشارد أنفاسه وهي ترفع طرحتها عن وجهها، وتنظر إليه بعينين تشعان بكل ما تحمله في قلبها من مشاعر وأحاسيس له وحده.

دست يدها في يده فرفعها إلى شفتيه وقبلها قائلاً:

ـ أحبك.

فهمست له:

ـ وأنا أيضاً.

***

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com/vb3